موسوعة تعظيم علّام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

الكتاب رقم
(١٦)

الاستغناءُ باللّه تعالى

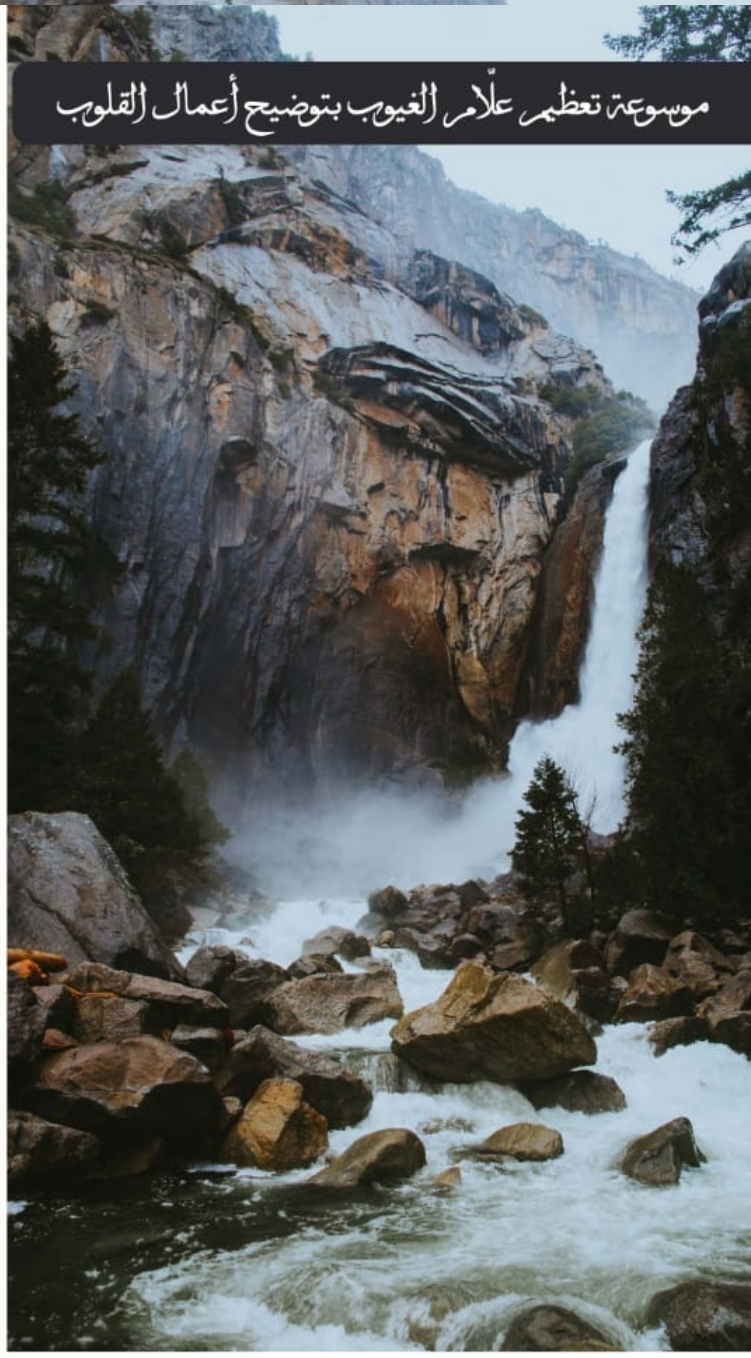

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الرميحي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

www.alukah.net
شبكة الألوكة

موسوعة:

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

الكتاب رقم (١٦)

الاستغناءُ بالله تعالى

تأليف

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

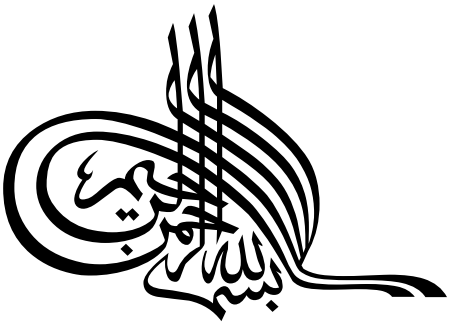
بسم الله الرحمن الرحيم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهرس المحتويات

مقدمة ٥
التعريف ٧
بين الافتقار إلى الله والاستغناء به ١٠
مراتب الغنى بالله تعالى ١٣
الاستغناء بعلم السلف عن علوم الخلف ٣٢
كيف يسعى لجنون مَن عَقل! ٦٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

الحمد لله الكريم المجيب لكل سائل، التائبِ على من تاب فليس بينه وبين العباد حائل، جعل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيم فيها لا محالة زائل، حذّر الناس من الشيطان، وللشيطان منافذ وحبائل، فمَن أسلم وجهه لله فذلك الكيّس العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال والغافل. أحمده تبارك وتعالى وأعوذ بنور وجهه الكريم من فتن الضراء والسرّاء وفتن العلم والجهل في عاجل أمري والآجل، وأسألُه لي وللقارئ ووالدينا وأهلينا وأحبابنا والمسلمين الفوزَ بالجنة ورُفقة النبيين الصِّدِّيقين والمُقربين الأوائل.

وأشهد أن لا إله إلا الله المنزهُ عن الشريك والشبيه والمُشاكل. مَن للعباد غيرُه ومن يدبّر الأمر سواه ومن يجيب المضطر إذا دعاه وقد استعصت عليه المسائل! من لنا إذا انقضى العُمُرُ وتقطّعت بنا الأسباب والوسائل! هو الله لا إله إلا هو، الإلهُ الحق، وكلُّ ما خلا اللهَ باطل. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢] وأشهد أن نبيّنا محمدًا عبدُ الله ورسوله وخليله وكليمه وكريمه، اللّهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

أما بعد؛ فإنّ أغنى الناس هو من استغنى بربِّ الناس عن الناس، (ما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم). وهذه حروف يسّرها ربي تبارك وتعالى في هذا المعنى وما يتعلق به، وبالله التوفيق والعصمة والتسديد، ومنه القبول والرحمة والمغفرة.

إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

١٤٣٩/٢/٤

aldumaiji@gmail.com

www.alukah.net
شبكة الألوكة

التعريف

هذا الباب لصيقٌ بما قبله، لأن حقيقة الافتقار هي استغناء بالغني سبحانه عما سواه، وقد عدهما بعض العلماء بابًا واحدًا، والصواب أن بينهما فروق يسيرة لذا أفردتُ الغنى وألحقته بالافتقار حتى يكون كالمكمّل له، وبالله التوفيق وعليه التوكل وإليه التوجّه، وهو المستعان، لا إله إلا هو، ولا رب سواه.

إن حدّ الغنى مقاربٌ لحد الافتقار، وفيه زيادة الاكتفاء والكفاية وتمام التوكل على الله دون خلقه، فالغنى بالله ثمرة الافتقار إليه، ويأتي بعده في ثاني الحال، والله أعلم.

ومعنى الغنى: الكفاية بما حصل له، وقال صاحب العين: «الغِنَى مقصور في المال. واستغنى الرّجل: أصاب غِنى. والغُنْيَةُ: اسم من الاستغناء تَغَنَّى إلى معنى استغنى»(١).

«وقال الراجز:

لـو أشربُ السُّـلْوانَ مـا سَـليتُ ... مـا بي غِنًـى عنـكِ وإن غَنيـتُ(٢)

وفي المختار: «غنِيَ: - بالكسر والقصر -: اليسار، تقول منه: غَنِي غِنىً

(١) كتاب العين (٨ / ٤٥٠).

(٢) جمهرة اللغة (٢ / ٤٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهو غَنِيٌّ، وتَغَنَّى أيضًا: أي اسْتَغْنَى، وتَغانَوْا: استغنى بعضهم عن بعض»[١].

وقال إمام الفن ابن فارس في تحليله لمادّة غِنَى: «الغين والنون والحرف المعتل أصلانِ صحيحان، أحدُهما يدلُّ على الكِفاية، والآخر صوت. فالأوّل الغِنى في المال. يقال: غَنِيَ يَغْنَى غِنىً. والغَنَاء بفتح الغَين مع المدّ: الكِفَاية. يقال: لا يُغْنِي فلانٌ غَنَاءَ فلانٍ، أي لا يَكفِي كِفايَتَه. وغَنِيَ عن كذا فهو غانٍ. وغَنِيَ القومُ في دارهم: أقاموا، كأنَّهُم اسْتَغْنُوا بها. ومَغَانيهم: مَنازِلُهم. والغانية: المرأة. قال قومٌ: معناه أنها استغنَتْ بمنزلِ أبويها. وقال آخرون: استغنَتْ ببعلها. ويقال استَغْنَتْ بجمالها عن لُبْسِ الحلْي. قال الأعشى:

ولكـــنْ لا يَصِـــيد إذا رماهـــا ولا تُصْـــطادُ غانيـــةٌ كَنُـــودُ

والغُنْيَان: الغِنَى. قال قيس:

أجَـــدَّ بعَمْـــرَة غُنيانُهـــا فتَهْجُـــرَ أم شـــانُنا شَـــانُها

ويقال: تَغنَّيْتُ بكذا، وتغَانيتُ به، إذا أنت استغنيت به. قال الأعشى:

وكنـــت امـــرأً زَمَنًـــا بـــالعِراقِ عَفِيـــف المُنَـــاخِ طويـــل التـــغَنْ

وقال في التَّغاني:

كلانـــا غنِـــيٌّ عـــن أخيـــه حَيَاتَـــهُ ونحـــنُ إذا مُتْنـــا أشـــدُّ تَغَانِيـــا[٢]»

وعند ابن سِيْده: «الغنى، مقصور: ضد الفقر. فإذا فتح مد. فأما قوله:

(١) مختار الصحاح (١ / ٤٨٨).

(٢) معجم المقاييس لابن فارس (٧٧٦ – ٧٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سـيغنيني الـذي أغنـاك عنـي فـلا فقـر يـدوم ولا غنـاء

فإنه يُروى بالكسر والفتح، فمن رواه بالكسر أراد: مصدر غانيت، ومن رواه بالفتح أراد: الغنى نفسه.

واستغنى الله: سأله أن يغنيه.

والغنيّ والغاني: ذو الوفر. وأنشد ابن الأعرابي:

أرى المـال يغشى ذا الوصوم فلا ترى ويُدعى من الأشراف من كان غانيا

ومالك عنه غنًى، ولا غُنية، ولا غنيان، ولا مغنى: أي مالك عنه بدّ»[1].

فالغنى بالله والاستغناء به: طلب حصول الكفاية وسد الحاجة منه سبحانه دون من سواه.

(١) المحكم والمحيط الأعظم (٦ / ١٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بين الافتقار إلى الله والاستغناء به

بينهما تلازم وتضمّن، فكل فقير إلى الله غنيّ به ضرورة، فقد اقتضت حكمته سبحانه أن يغني من افتقر إليه، ويكشف كرب من وحّده، ويفرج هم من عبده، ويرخي عيش من آمن واكتفى به(١).

وعليه فقد اختلف كلام أهل العلم في تفريقهم بين الافتقار والاستغناء، فمنهم من جعلهما ضربًا واحدًا، ومنهم من فرّق ولو تفريقًا يسيرًا، وهو الأقرب، ففي الغنى بالله زيادة معنى الاستغناء به عن الخلق والاكتفاء به دون سواه، وحصول المقصود، وإن كان هذا لازمٌ للافتقار أيضًا، لكنه أوضح وأبينُ في الاستغناء.

قال ابن القيم: «إذا عرفت معنى الفقر؛ علمت أنه عين الغنى بالله. فلا معنى لسؤال من سأل: أي الحالين أكمل: الافتقار إلى الله، أم الاستغناء به؟ فهذه مسألة غير صحيحة، فإنّ الاستغناء به هو عين الافتقار إليه.

وسئل عن ذلك محمد بن عبد الله الفرغاني فقال: «إذا صح الافتقار إلى الله تعالى؛ فقد صح الاستغناء بالله. وإذا صح الاستغناء بالله؛ كمل الغنى به. فلا يقال أيهما أفضل: الافتقار أم الاستغناء؟ لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى».

وإما كلامهم في مسألة الفقير الصابر والغني الشاكر وترجيح أحدهما على

(١) رخاء العيش يكون بالكفاية مع القناعة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

صاحبه[١] فعند أهل التحقيق والمعرفة؛ أن التفضيل لا يرجع إلى ذات الفقر والغنى، وإنما يرجع إلى الأعمال والأحوال والحقائق[٢] فالمسألة أيضًا فاسدة في نفسها، فإنّ التفضيل عند الله تعالى بالتقوى وحقائق الإيمان، لا بفقر ولا غنى، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣] ولم يقل أفقركم ولا أغناكم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه: «والفقر والغنى ابتلاء من الله لعبده كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر: ١٥ - ١٦] أي ليس كل من وسّعت عليه وأعطيته؛ أكون قد أكرمتُه، ولا كل من ضيّقت عليه أكون قد أهنته. فالإكرام: أن يكرم الله العبد بطاعته والإيمان به ومحبته ومعرفته. والإهانة: أن يسلبه ذلك، ولا يقع التفاضل بالغني والفقر، بل بالتقوى فإن استويا في التقوى؛ استويا في الدرجة» سمعته يقول ذلك.

وتذاكروا هذه المسألة عند يحيى بن معاذ فقال: «لا يوزن غدًا الفقر ولا الغنى، وإنما يوزن الصبر والشكر»[٣] وقال غيره: هذه المسألة محال من وجه آخر، وهو أن كلا من الغني والفقير لابد له من صبر وشكر، فإن الإيمان

---

(١) وستأتي مفصلة مبسوطة في كتاب الصبر، بإذن الله تعالى.

(٢) فأفضلهما أتقاهما.

(٣) وهذا فقه عميق ومعنًى نفيس، مع أنهما متداخلان ولا قوام لأحدهما بدون الآخر، فتأمل.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نصفان: نصف صبر، ونصف شكر. بل قد يكون نصيب الغني وقسطه من الصبر أوفر؛ لأنه يصبر عن قدرة، فصبره أتم مِن صبرٍ من يصبر عن عجز، ويكون شكر الفقير أتم؛ لأن الشكر هو استفراغ الوسع في طاعة الله، والفقير أعظم فراغًا للشكر من الغني، فكلاهما لا تقوم قائمة إيمانه إلا على ساقي الصبر والشكر.

نعم، الذي يحكي الناس من هذه المسألة فرعًا من الشكر وفرعًا من الصبر، وأخذوا في الترجيح بينهما فجردوا غنيًّا منفقًا متصدقًا باذلًا ماله في وجوه القرب، شاكرا لله عليه، وفقيرًا متفرغًا لطاعة الله ولأوراد العبادات من الطاعات، صابرًا على فقره. فهل هو أكمل من ذلك الغني، أم الغني أكمل منه؟ فالصواب في مثل هذا: أن أكملهما أطوعهما، فإن تساوت طاعتهما تساوت درجاتهما، والله أعلم[١]».

(١) مدارج السالكين (٢ / ٤٤٠ – ٤٤٤) باختصار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مراتب الغنى بالله تعالى

ما سلف من ذكر فضائل الافتقار فهو منسحب على الاستغناء كذلك، فثمارهما الطيبة واحدة.

واعلم أنه بحسب تحقيق المؤمن للاستغناء بربه تعالى يكون غناه وسدّ فاقته ونُجعُه ونُجحُه وفوزه وفلاحه وسعادة أَبَدِه.

وبما أن الغنى هو محض فضل الله تعالى، وحيث أن أفضاله لا تعدّ ولا تحصى ولا تحصر؛ فاقتضت حكمته سبحانه أن يجعل للغنى مراتب ودرجات، «ولما كان الفقر إلى الله سبحانه هو عين الغنى به، فأفقر الناس إلى الله أغناهم به وأذلهم له، وأعزهم وأضعفهم بين يديه أقواهم، وأجهلهم عند نفسه أعلمهم بالله، وأمقتهم لنفسه أقربهم إلى مرضاة الله؛ كان ذكر الغنى بالله مع الفقر إليه متلازمين متناسبين.

واعلم أن الغنى على الحقيقة لا يكون إلا بالله الغني بذاته عن كل ما سواه، وكل ما سواه فموسوم بسمة الفقر، كما هو موسوم بسمة الخلق والصنع. وكما أن كونه مخلوقًا أمر ذاتي له، فكونه فقيرًا أمر ذاتي له. وغناه أمرٌ نسبي إضافي عارض له، فإنه إنما استغنى بأمر خارج عن ذاته، فهو غني به فقير إليه.

ولا يوصف بالغنى على الإطلاق إلا من غناه من لوازم ذاته، فهو الغني بذاته عما سواه، وهو الأحد الصمد الغني الحميد.

والغنى قسمان: غنى سافل(١)، وغنى عال.

---

(١) لو سماه غنى أدنى أو أقلّ أو جسدي أو نحو ذلك؛ لكان أليق من سافل من حيث =

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالغنى السافل: الغنى بالعواري المستردة من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، وهذا أضعف الغنى فإنه غنى بظل زائل وعارية ترجع عن قريب إلى أربابها، فإذا الفقر بأجمعه بعد ذهابها، وكأن الغنى بها كان حلمًا فانقضى، ولا همة أضعف من همة من رضي بهذا الغنى الذي هو ظل زائل.

وهذا غنى أرباب الدنيا الذي فيه يتنافسون وإياه يطلبون وحوله يحومون، ولا أحبّ إلى الشيطان وأبعد عن الرحمن من قلب ملآن بحب هذا الغنى والخوف من فقده.

قال بعض السلف: «إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء: مؤمن قتل مؤمنًا، ورجل يموت على الكفر، وقلب فيه خوف الفقر»(١).

وهذا الغنى محفوف بفقرين: فقر قبله، وفقر بعده، وهو كالغفوة بينهما. فحقيق بمن نصح نفسه أن لا يغتر به ولا يجعله نهاية مطلبه، بل إذا حصل له جعله سببًا لغناه الأكبر ووسيلة إليه، ويجعله خادمًا من خدمه لا مخدومًا له، وتكون نفسه أعزّ عليه من أن يعبّدها لغير مولاه الحق، أو يجعلها خادمة لغيره.

= الوصف الموحش، وإن كان قصد الإمام رحمه الله التنبيه إلى سفول هذا النوع والتنفير من التعلق به. ولكن يبقى هذا الغنى الأدنى والأقل له اعتباره الشرعي حتى وإن كان في مرتبة ليست بشيء إزاء الغنى العالي، وبالله التوفيق.

(١) الرسالة القشيرية (٢٧٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما الغنى العالي: فهو بحصول ما يسد فاقة القلب ويدفع حاجته، وفي القلب فاقة عظيمة وضرورة تامة وحاجة شديدة، لا يسدها إلا فوزه بحصول الغنيّ الحميد، الذي إن حصل للعبد حصل له كل شيء، وإن فاته فاته كل شيء.

فكما أنه سبحانه الغنيّ على الحقيقة ولا غني سواه، فالغنيّ به هو الغني في الحقيقة ولا غِنى بغيره البتة، فمن لم يستغن به عما سواه تقطّعت نفسه على السّوى[١] حسرات، ومن استغنى به زالت عنه كل حسرة، وحضره كل سرور وفرح، والله المستعان.

وقد قال النبي ﷺ: **«إن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد لها سائر الجسد، إلا وهي القلب»**[٢].

والقلب إذا استغنى بما فاض عليه من مواهب ربِّه وعطاياه السنية خَلَعَ على الأمراءِ[٣] والرعيةِ خِلَعًا[٤] تناسبها، فخلع على النفس خلع الطمأنينة والسكينة والرضا والإخبات، فأدت الحقوق سمحة لا كظمًا بل بانشراح ورضا ومبادرة، وذلك لأنها جانست القلب حينئذ ووافقته في أكثر أموره

---

(١) أي ما سوى الله تعالى.

(٢) البخاري (٥٢) ومسلم (١٥٩٩).

(٣) لأن القلب بمثابة الملك على رعيته الأعضاء على قول أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) الخِلَع: جمع خِلعة، وهي فاخر الثياب وثمينها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واتحد مرادهما غالبًا، فصارت له وزير صِدقٍ[١] بعد أن كانت عدوًّا مبارزًا بالعداوة، فلا تسأل عما أحدثت هذه المؤازرة والموافقة من طمأنينة ولذة عيش ونعيم، هو رقيقةٌ من نعيم أهل الجنة.

هذا ولم تضع الحرب أوزارها فيما بينهما، بل عُدّتها وسلاحها كامنٌ متوار لولا قدرة سلطان القلب وقهره لحاربت بكل سلاح، فالمرابطة على ثغري الظاهر والباطن فرضٌ متعيّن مُدّة أنفاس الحياة.

وتنقضي الحرب محمودٌ عواقبُها ... للصابرين وحظَّ الهارب الندمُ

وخَلَعَ على الجوارح خِلَعَ الخشوع والوقار، وعلى الوجه خلعة المهابة والنور والبهاء، وعلى اللسان خلعة الصدق والقول السديد الثابت والحكمة النافعة، وعلى العين خلعة الاعتبار في النظر والغض عن المحارم، وعلى الأذن خلعة استماع النصيحة واستماع القول النافع استماعه للعبد في معاشه ومعاده، وعلى اليدين والرجلين خلعة البطش[٢] في الطاعات أين كانت بقوة وأيد، وعلى الفرج خلعة العفّة والحفظ. فغدا العبدُ وراح يرفُل[٣] في هذه الخلع ويجر لها في الناس أذيالًا وأردانًا.

فغنى النفس مشتق من غنى القلب وفرع عليه، فإذا استغنى سَرَى الغنى

(١) فصارت مطمئنة بالإيمان بعد ما كانت أمّارة لوّامة.

(٢) البطش: الأخذ بقوّة. ويطلق أحيانًا على الأخذ بعنف وشدة. والمراد هنا الأول، فبطش اليدين تناولهما للشيء.

(٣) يرفل: يزهو ويختال ويتنعّم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

منه إلى النفس. وغنى القلب ما يناسبه من تحقيقه بالعبودية المحضة التي هي أعظم خلعة تخلع عليه، فيستغني حينئذ بما توجبه هذه العبودية له من المعرفة الخاصة والمحبة الناصحة الخالصة، وبما يحصل له من آثار الصفات المقدسة، وما تقتضيه من الأحكام والعبوديات المتعلقة بكل صفة.

فإذا استغنى القلب بهذا الغنى الذي هو غاية فقره؛ استغنت النفس غنى يناسبها، وذهبت عنها البرودة التي توجب ثقلها وكسلها وإخلادها إلى الأرض، وصارت لها حرارة توجب حركتها وخفتها في الأوامر وطلبها الرفيق الأعلى، وصارت برودتها في شهواتها وحظوظها ورعوناتها، وذهبت عنها أيضًا اليبوسة المضادة للِينها وسرعة انفعالها وقبولها، فإنها إذا كانت يابسة قاسية كانت بطيئة الانفعال بعيدة القبول، لا تكاد تنقاد، فإذا صارت يبوستها حرارة وبرودتها رطوبة وسقيت بماء الحياة الذي أنزله الله عز وجل على قلوب أنبيائه وجعلها قرارًا ومَعينًا له ففاض منها على قلوب أتباعهم فأنبتت من كل زوج كريم؛ فحينئذ انقادت بزمام المحبة إلى مولاها الحق، مؤدية لحقوقه، قائمة بأوامره، راضية عنه مرضية له بكمال طمأنينتها، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨]

هذا، ومحض لذة المؤمن وفرحه وسروره وبهجته إنما هو في الصلاة التي هي صلة الله، وحضور بين يديه، ومناجاة له، واقتراب منه. فكيف لا تكون قرة العين كما قال ﷺ: **«وجُعلت قرة عيني في الصلاة»**[1] وكيف تقر عين

(١) أحمد (٣٣٠٨٨). وصححه ابن الملقن في البدر المنير (١/ ٥٠١) وابن القيم في الإغاثة =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحب بسواها؟!

فإذا حصل للنفس هذا الحظ الجليل؛ فأي فقر يُخشى معه، وأي غنى فاتها حتى تلتفت إليه؟! ولا يحصل لها هذا حتى ينقلب طبعها ويصير مجانسًا لطبيعة القلب، فتصير بذلك مطمئنة بعد أن كانت لوامة. وإنما تصير مطمئنة بعد تبدل صفاتها وانقلاب طبعها لاستغناء القلب بما وصل إليه من نور الحق سبحانه، فجرى أثر ذلك النور في سمعه وبصره وشَعره وبَشَره وعظمه ولحمه ودمه وسائر مفاصله، وأحاط بجهاته من فوقه وتحته ويمينه ويساره وخلفه وأمامه، وصارت ذاته نورًا فصار عملُه نورًا، وقولُه نورًا ومدخله نورًا ومخرجه نورًا، وكان في مبعثه ممن أُتِمَّ له نورُه فقطع به الجسر.

وإذا وصلت النفس إلى هذه الحال؛ استغنت بها عن التطاول إلى الشهوات التي توجب اقتحام الحدود المسخوطة والتقاعد عن الأمور المطلوبة المرغوبة، فإن فقرها إلى الشهوات هو الموجب لها التقاعد عن المرغوب المطلوب، وأيضًا فتقاعدها عن المطلوب منها موجب لفقرها إلى الشهوات، فكل منهما موجب للآخر.

وترك الأوامر أقوى لها من افتقارها إلى الشهوات، فإنه بحسب قيام العبد بالأمر تُدفع عنه جيوش الشهوة، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ

=

(٢/١٩٥) وابن حجر في الفتح (٣/٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨] وفي القراءة الأخرى (يدفع)[١] فكمال الدفع والمدافعة بحسب قوة الإيمان وضعفه.

وإذا صارت النفس حرة طيبة مطمئنة غنية بما أغناها به مالكها وفاطرها من النور الذي وقع في القلب ففاض منه إليها؛ استقامت بذلك الغنى على الأمر الموهوب، وسلِمَت به عن الأمر المسخوط، وبرئت من المراءاة.

ومدار ذلك كله على الاستقامة باطنًا وظاهرًا، ولهذا كان الدين كله في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣].

وهذه الاستقامة ترقي صاحبها إلى الغنى بالحق تبارك وتعالى عن كل ما سواه، وهي أعلى درجات الغنى.

فأول هذه الدرجة أن تشهد ذكر الله عز وجل إياك قبل ذكرك له، وأنه تعالى ذَكَرَكَ فيمن ذَكَرَهُ من مخلوقاته ابتداء قبل وجودك وطاعتك وذكرك، فقدّر خلقك ورزقك وعملك وإحسانه إليك ونعمه عليك حيث لم تكن شيئًا البتة، وذكرك تعالى بالإسلام فوفقك له واختارك له دون من خذله، قال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الحج: ٧٨] فجعلك أهلًا لما لم تكن أهلًا له قط، وإنما هو الذي أهّلك بسابق ذكره، فلولا ذكره لك بكل جميل أولاكَهُ لم يكن لك إليه سبيل.

---

(١) على قراءة ابن كثير وأبي عمرو.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن الذي ذَكَرَكَ باليقظة حتى استيقظت وغيرك في رقدة الغفلة مع النوّام؟ ومن الذي ذَكَرَكَ سواه بالتوبة حتى وفقك لها وأوقعها في قلبك وبعث دواعيك وأحيى عزماتك الصادقة عليها حتى ثُبْتَ إليه وأقبلت عليه، فذقت حلاوة التوبة وبردها ولذاتها؟ ومن الذي ذكرك سواه بمحبته حتى هاجت من قلبك لواعجها، وتوجّهت نحوه سبحانه ركائبها، وعمَر قلبك بمحبته بعد طول الخراب، وآنسك بقربه بعد طول الوحشة والاغتراب؟ ومن تقرّب إليك أولًا حتى تقرّبت إليه، ثم أثابك على هذا التقرّب تقرّبًا آخر، فصار التقرّب منك محفوفًا بتقرّبين منه تعالى، تقرّبٌ قبله وتقرّب بعده، والحب منك محفوفًا بحبين منه، حب قبله وحب بعده، والذكر منك محفوفا بذكرين ذكر قبله وذكر بعده؟

فلولا سابق ذكره إياك لم يكن من ذلك كله شيء، ولا وصل إلى قلبك ذرة مما وصل إليه من معرفته وتوحيده ومحبته وخوفه ورجائه والتوكل عليه والإنابة إليه والتقرّب إليه. فهذه كلّها آثارُ ذكرِه لك.

ثم إنه سبحانه ذَكَرَكَ بنعمه المترادفة المتواصلة بعدد الأنفاس، فله عليك في كل طرفة عين ونفس نِعَمٌ عديدة، ذكرك بها قبل وجودك، وتعرّف بها إليك، وتتحبّب بها إليك، مع غناه التام عنك وعن كل شيء، وإنما ذلك مجرد إحسانه وفضله وجوده، إذ هو الجواد المحسنُ لذَاتِه، لا لمعاوضة، ولا لطلب جزاء منك، ولا لحاجة دعته إلى ذلك، كيف وهو الغني الحميد؟

فإذا وصل إليك أدنى نعمة منه فاعلم أنه ذكرك بها، فلتعظُمْ عندك لذكره

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لك بها[١]، فإنه ما حَقَرَكَ مَن ذَكَرَكَ بإحسانه، وابتدأك بمعروفه، وتحبّب إليك بنعمته، هذا كله مع غناه عنك.

فإذا شهد العبدُ ذكرَ ربه تعالى له، ووصل شاهدُه إلى قلبه؛ شغله ذلك عما سواه، وحصل لقلبه به غنى عالٍ لا يشبهه شيء[٢]. وهذا كما يحصل للمملوك الذي لا يزال أستاذه وسيده يذكُرُه ولا ينساه، فهو يحصل له - بشعوره بذكر أستاذه له - غنًى زائد على إنعام سيده عليه وعطاياه السنية له، فهذا هو غنى ذكرِ الله للعبد.

وقد قال ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى: **«من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي، ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منهم»**[٣] فهذا ذكرٌ ثانٍ بعد ذكر العبد لربه غير الذكر الأول الذي ذكره به حتى جعله ذاكرًا، وشعورُ العبد بكلا الذكرين يوجب له غنًى زائدًا على إنعام ربه عليه وعطاياه له[٤].

---

(١) فالحمد والشكر لله رب العالمين على كل حال وكل حين.

(٢) قال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وتأمل هذا الجلال والعظمة والفرح الكبير والاختصاص السّنّي. قال رسول الله ﷺ لأُبيّ. وهو ابن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.: **«إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»** قال أُبيّ: أللهُ سَمّاني لك؟! قال: **«اللهُ سمّاك لي»** فجعل أُبيّ يبكي. قال قتادة: فأُنبئتُ أنه قرأ عليه: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [سورة البينة]. رواه البخاري (٤٩٦٠) ومسلم (٧٩٩).

(٣) البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥).

(٤) لأنه يُحسّ بقربه من ربه وتفضيله وتخصيصه بإنعامه فيورثه ذلك الشعور حبًّا وامتنانًا وعبودية لإلهه الحق تبارك وتعالى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد ذكرنا في كتاب (الكلم الطيب والعمل الصالح)[١] من فوائد الذكر استجلاب ذكر الله سبحانه لعبده، وذكرنا قريبًا من مئة فائدة تتعلق بالذكر، كل فائدة منها لا نظير لها، وهو كتاب عظيم النفع جدًّا[٢].

والمقصودُ: أن شعور العبد وشهوده لذكر الله له يغني قلبَه ويسدّ فاقته، وهذا بخلاف من نسوا الله فنسيهم، فإن الفقر من كل خير حاصلٌ لهم، وما يظنون أنه حاصل لهم من الغنى فهو من أكبر أسباب فقرهم.

ومن درجات الغنى بالله تعالى دوامُ شهود أوّليّته سبحانه، لأن العبد إذا فتح الله لقلبه شهودَ أوّليته سبحانه حيث كان ولا شيء غيره، وهو الإله الحق الكامل في أسمائه وصفاته، الغني بذاته عما سواه، الحميد بذاته قبل أن يخلق من يحمده ويعبده ويمجده، فهو معبود محمود حيّ قيوم، له الملك وله الحمد في الأزل والأبد، لم يزل ولا يزال موصوفًا بصفات الجلال، منعوتًا بنعوت الكمال، وكل شيء سواه فإنما كان به، وهو سبحانه بنفسه ليس بغيره، فهو القيوم الذي قيام كل شيء به، ولا حاجة به في قيّوميّته إلى غيره بوجه من الوجوه. فإذا شهد العبدُ سبقَه تعالى بالأولية، ودوامَ وجوده الحق، استغنى به

---

(١) وقد اشتهر باسم (الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب) وهو مطبوع مشتهر.

(٢) وصدق رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وفي هذا نصح وشفقة للناس بدلالتهم على سد حاجة قلوبهم وأرواحهم بما ينفعهم من العلم النافع، فالعالِم لا يكتب إلا لنفع الناس، ومن ذلك دلالتهم على ما كتبه في موضع آخر والإشادة بما فيه من الخير، وإن كان بعضهم قد يتحسس من مثل ذلك، والصحيح أن لكل مقامٍ وحالٍ مقامٌ وحالٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عما سواه من مخلوقاته، وشهد العبد حينئذ أن كل ما سواه باطل، وأن الحق المبين هو الله وحده.

وجميع ما يبدو للقلوب من صفات الرب سبحانه فإن العبد يستغني بها بقدر حظّه وقسمه من معرفتها وقيامه بعبوديتها. فمن شهد مشهد علوّ الله على خلقه، وفوقيّته لعباده، واستوائه على عرشه، كما أخبر به أعرَفُ الخلق وأعلمهم به الصادق المصدوق، وتعبّد بمقتضى هذه الصفة، بحيث يصير لقلبه صَمَدٌ يعرج القلب إليه، مناجيًا له، مطرقًا، واقفًا بين يديه وقوف العبد الذليل بين يدي الملك العزيز، فيشعر بأن كَلِمَه وعَمَله صاعد إليه، معروض عليه بين خاصته وأوليائه؛ فيستحيي أن يصعد إليه من كَلِمِهِ ما يخزيه ويفضحه هناك.

ويشهد نزول الأمر والمراسيم الإلهية إلى أقطار العوالم كل وقت بأنواع التدبير والتصرف من الإماتة والإحياء والتولية والعزل والخفض والرفع والعطاء والمنع وكشف البلاء وإرساله وتقلب الدول ومداولة الأيام بين الناس، إلى غير ذلك من التصرفات في المملكة التي لا يتصرف فيها سواه، فمراسمه نافذةٌ فيها كما يشاء، ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴾ [السجدة: ٥] فمن أعطَى هذا المشهد حقّه معرفة وعبودية؛ استغنى به.

وكذلك من شهدَ مشهد العلم المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات ولا في قرار البحار ولا تحت أطباق الجبال، بل أحاط

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بذلك علمه كله علمًا تفصيليًّا، ثم تعبّد بمقتضى هذا الشهود من حراسة خواطره وإرادته وجميع أحواله وعزماته وجوارحه؛ عَلِمَ أن حركاته الظاهرة والباطنة وخواطره وإراداته وجميع أحواله ظاهرة مكشوفة لديه، علانية له بادية، لا يخفى عليه منها شيء.

وكذلك إذا أشعر قلبه صفةَ سمعه سبحانه لأصوات عباده على اختلافها وجهرها وخفائها، سواء عنده مَن أسرَّ القول ومن جهر به، لا يشغله جهرُ مَن جهر عن سمعه لصوت من أسرَّ، ولا يشغله سمعٌ عن سمع، ولا تغلّطه الأصوات على كثرتها واختلافها واجتماعها، بل هي عنده كلها كصوت واحد، كما أن خلق الخلق جميعهم وبعثهم عنده بمنزلة نفس واحدة(١).

وكذلك إذا شهد معنى اسمه البصير جل جلاله، الذي يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في حندس الظلماء، ويرى تفاصيل خلق الذرّة الصغيرة ومخّها وعروقها ولحمها وحركتها، ويرى مدّ البعوضة جناحها في ظلمة الليل(٢).

---

(١) قيل لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كيف يكلّم الله الناس كلّهم يوم القيامة في ساعة واحدة؟ قال: «كما يرزقهم كلهم في ساعة واحدة». منهاج السنة لابن تيمية (٢/٣٩٨) والفتاوى (٥/١٣٣).

(٢) قال الزمخشري:

يا من يرى مَدَّ البعوضِ جناحَها ... في ظلمة الليل البهيم الأليلِ
ويرى عروق نياطها في نحرها ... والمخ في تلك العظام النُّحَّلِ

=

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأعطى هذا المشهد حقه من العبودية، فحرس حركاته وسكناته، وتيقن أنها بمرأى منه سبحانه، ومشاهدةٍ لا يغيب عنه منها شيء.

وكذلك إذا شهد مشهد القيّومية الجامع لصفات الأفعال، وأنه قائم على كل شيء، وقائم على كل نفس، وأنه تعالى هو القائم بنفسه المقيم لغيره، القائم عليه بتدبيره وربوبيته وقهره، وإيصال جزاء المحسن إليه وجزاء المسيء إليه، وأنه بكمال قيوميته لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يُرفع إليه عمل الليل قبل النهار، وعمل النهار قبل الليل، لا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يضل ولا ينسى. وهذا المشهد من أرفعِ مشاهد العارفين، وهو مشهد الربوبية.

وأعلى منه مشهد الإلهية الذي هو مشهد الرسل وأتباعهم الحنفاء، وهو شهادة أن لا إله إلا هو، وأن إلهية ما سواه باطل ومحال كما أن ربوبية ما سواه كذلك، فلا أحدَ سواه يستحق أن يُؤله ويُعبد ويُصلّى له ويُسجَد، ويستحق نهاية الحب مع نهاية الذل لكمال أسمائه وصفاته وأفعاله، فهو المُطاع وحده على الحقيقة، والمألوه وحده، وله الحكم وحده. فكل عبوديةٍ لغيره باطلةٌ وعناءٌ وضلال، وكل محبة لغيره عذاب لصاحبها، وكل غنى لغيره فقر وفاقة، وكل عز بغيره ذل وصغار، وكل تكثّرٌ بغيره قلة وذلّة. فكما استحال أن يكون

=

ويرى وصول غذى الجنين ببطنها ... في ظلمة الأحشاء بغير تمقّلِ
أمنن عليّ بتوبة تمحو بها ... ما كان منّي في الزمان الأولِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

للخلق ربٌّ غيره؛ فكذلك استحال أن يكون لهم إله غيره، فهو الذي انتهت إليه الرغبات، وتوجّهت نحوه الطلبات.

ويستحيلُ أن يكون معه إله آخر، فإن الإله على الحقيقة هو الغنيُّ الصمد، ولا حاجة به إلى أحد، وقيامُ كلِّ شيء به، وليس قيامُه بغيره، ومن المحال أن يحصل في الوجود اثنان كذلك، ولو كان في الوجود إلهان لفسد نظامه أعظم فساد، واختل أعظم اختلال، كما يستحيل أن يكون له فاعلان متساويان كل منهما مستقل بالفعل، فإن استقلالَهما ينافي استقلالَهما، واستقلال أحدهما يمنع ربوبية الآخر، فتوحيد الربوبية أعظم دليل على توحيد الإلهية.

ولذلك وقع الاحتجاج به في القرآن أكثر مما وقع بغيره، لصحة دلالته وظهورها، وقبول العقول والفطر لها، ولاعتراف أهل الأرض بتوحيد الربوبية. وكذلك كان عُبّادُ الأصنام يقرّون به وينكرون توحيد الإلهية، ويقولون: ﴿أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ [ص: ٥] مع اعترافهم بأن الله وحده هو الخالق لهم وللسموات والأرض وما بينهما، وأنه المنفرد بملك ذلك كله، فأرسل الله تعالى الرسل تذكّرهم بما في فطرهم من الإقرار به، من توحيده وحده لا شريك له، وأنهم لو رجعوا إلى فطرهم وعقولهم لدلّتهم على امتناع إله آخر معه واستحالته وبطلانه.

فمشهد الألوهية هو مشهد الحنفاء، وهو مشهدٌ جامع للأسماء والصفات، وحظ العباد منه بحسب حظهم من معرفة الأسماء والصفات. ولذلك كان الاسم الدال على هذا المعنى هو اسم الله جل جلاله، فإن هذا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاسم هو الجامع، ولهذا تضاف الأسماء الحسنى كلها إليه، فيقال الرحمن الرحيم العزيز الغفار القهار من أسماء الله، ولا يقال الله من أسماء الرحمن. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فهذا المشهد تجتمع فيه المشاهد كلها، وكل مشهد سواه فإنما هو مشهد لصفة من صفاته، فمن اتّسع قلبه لمشهد الإلهية، وقام بحقه من التعبد الذي هو كمال الحب بكمال الذل والتعظيم والقيام بوظائف العبودية، فقد تم له غناه بالإله الحق، وصار من أغنى العباد، ولسان حال مثل هذا يقول:

غنيتُ بلا مال عن الناس كلّهم وإنَّ الغنى العالي عن الشيء لا بِهِ

فيا لَه من غنًى ما أعظم خطره، وأجلَّ قدره، تضاءلت دونه الممالكُ فما دونها، وصارت بالنسبة إليه كالظل من الحامل له، والطيف الموافي في المنام الذي يأتي به حديث النفس، ويطرده الانتباهُ من النوم.

واعلم أن أعلى درجات الغنى بالرب سبحانه الفوزُ بوجوده، وهذا الغنى أعلى درجات الغنى لأن الغِنى الأول والثاني[1] كانا من آثار ذكر الله والتوجّه إليه، ففاضت على القلب من صدق التوجّه إلى الله أنوارُ الصفات المقدسة، واستغنى القلب بذلك، وحصلت له أيضًا أنوار الشعور بكفالته وكفايته لعبده، وحسن وَكالته وقيّوميّته بتدبيره، وحسن تدبيره، فاستغنت النفس بذلك أيضًا.

(١) الأول: شهود ذكر الله تعالى لعبده قبل ذكر عبده له، والثاني: دوام شهود صفات الله تعالى ومنها الأولية والقيّوميّة والربوبية والإلهية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما هذا الغنى الثالث الذي هو الغنى بالحق فهو من آثار وجود الحقيقة(١)، وهو إنما يكون بعد ترقّيه من آثار الصفات إلى آثار وجود الذات، وإنما يكون هذا الوجود بعد مكاشفة عين اليقين عندما يطلع فجرُ التوحيد(٢) فهذا أوَّلُهُ. وكمالُه عند طلوع شمسه(٣)، فيتقطّعُ ضبابُ الوجود الفاني، وتشرق شمس الوجود الباقي(٤) فينقطع لها كل ضباب، فهذا غنى لا يناله

---

(١) أي إدامة التفكّر واليقين بوجود الله تعالى، فوجوده واجب الوجود، أما المخلوق فممكن الوجود، وأما وجود شريك مع الله سبحانه في ربوبيته أو ألوهيته أو صفاته وأفعاله فمستحيل الوجود، فالقسمة ثلاثية.

(٢) أي ليس كما يقوله من أعمى الله بصيرته ممن قالوا بوحدة الوجود بين الخالق والمخلوق، أو بوجود الشريك معه سبحانه وتعالى.

(٣) أي بالعلم بما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ من أسماء الله وصفاته وأفعاله والتفقّه فيها، والتوفيق لإصابة الحق فيها، وكلُّ قلبٍ تشرق شمسُ علمِه عليه بقدر حظّه من ذلك العلم الراسخ وتوفيق الله له.

(٤) أي أن المؤمن حال ذلك المشهد منشغلٌ عن نفسه وذاته في مشاهدة ومطالعة صفات الله تعالى المبثوثة في القرآن والسنة، ويحرّك قلبه وجوارحه بمقتضاها، ويلهج لسانه بالثناء على الله بما يليق به سبحانه، وكل هذا من آثار هذا العلم الشريف المُنيف، أعني علم أسماء وصفات الله رب العالمين.

وهذا المشهد العظيم محتاج لفقه وعلم، حتى لا يضل مع من ضلّوا فقالوا بالفناء البدعي، والفناء كلمة مجملة تحتمل حقًّا وباطلًا، فلا بد فيها من الاستفصال الدافع للإلباس، ومسمى الفناء بمفهوم الخَلَف لم يرد على ألسنة السلف. قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبيّنًا أقسام الفناء الثلاثة: «والمعنى الذي يسمونه الفناء ينقسم =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

=

ثلاثة أقسام: فناء عن عبادة السِّوى، وفناء عن شهود السّوى، وفناء عن وجود السِّوى.

فالأول: هو الفناء الديني الشرعي، الذي جاءت به الرسل، وأُنزلت به الكتب، وهو أن يفنى عما لم يأمر الله به بفعل ما أمر الله به، فيفنى عن عبادة غيره بعبادته، وعن طاعته غيره بطاعته وطاعة رسوله، وعن التوكل على غيره بالتوكل عليه، وعن محبة ما سواه بمحبته ومحبة رسوله ﷺ، وعن خوف غيره بخوفه، بحيث لا يتبع العبد هواه بغير هدى من الله، وبحيث يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواها، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤] فهذا كله هو مما أمر الله به ورسوله ﷺ، وهذا هو حقيقة التوحيد والإخلاص الذي أرسل الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو تحقيق لا إله إلا الله، فإنه يفنى من قلبه كل تأله لغير الله، ولا يبقى في قلبه تألّه لغير الله، وكل من كان أكمل في هذا التوحيد كان أفضل عند الله.

وأما الفناء الثاني: وهو الذي يذكره بعض الصوفية، ويسمونه حال الاصطلام والفناء والجمع ونحو ذلك، وهو أن يفنى عن شهود ما سوى الله تعالى، بحيث يغيب بمذكوره عن ذكره، وبمعروفه عن معرفته، فلا يبقى ناظرًا إلا إلى توحيد الربوبية، وهو أن الله خالق كل شيء، بحيث يغيب عن شهود نفسه لما سوى الله تعالى، فهذا حال ناقص قد يعرض لبعض السالكين، وليس هو من لوازم طريق الله.

ولهذا لم يعرف مثل هذا للنبي ﷺ وللسابقين الأولين، ومن جعل هذا نهاية السالكين فهو ضالٌّ ضلالًا مبينا، وكذلك من جعله من لوازم طريق الله فهو مخطئ، بل هو من عوارض طريق الله التي تعرض لبعض الناس دون بعض، ليس هو من

=

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الوصف، ولا يدخل تحت الشرح، فيستغني العبد الفقير بوجود سيده العزيز الرحيم.

فيا لك من فقرٍ تَقَضَّى ومن غِنى يدومُ ومن عيشٍ ألذَّ من المُنى

فلا تستعجزْ نفسك عن البلوغ إلى هذا المقام، فبينك وبينه صدق الطلب، وإنما هي عزمةٌ صادقةٌ، ونهضةُ حرٍّ ممن لنفسه عنده قدر وقيمة، يغار عليها أن يبيعها بالدون.

وقد جاء في أثر إلهي: **«يقول الله عزو جل: ابنَ آدم خلقتك لنفسي فلا تلعب، وتكفّلت برزقك فلا تتعب، ابن آدم اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتَّكَ فاتك كل شيء، وأنا أَحَبُّ إليك من كل**

=

اللوازم التي تحصل لمن سلك.

فإنه إذا شهد أن الله ربّ كل شيء ومليكه وخالقه، وأنه المعبود لا إله إلا هو، الذي أرسل الرسل وأنزل الكتب وأمر بطاعته وطاعة رسله، ونهى عن معصيته ومعصية رسله، فشهد حقائق أسمائه وصفاته وأحكامه خلقًا وأمرًا؛ كان أتمَّ معرفة وشهودًا وإيمانًا وتحقيقًا من أن يفنى بشهود معنى عن شهود معنى آخر.

وأما الثالث: فهو الفناء عن وجود السِّوى، بحيث يرى أن وجود المخلوق هو عين وجود الخالق، وأن الوجود واحد بالعين، فهو قول أهل الإلحاد والاتحاد، الذين هم من أضل العباد، وقولهم أعظم كفرًا من قول اليهود والنصارى وعبّاد الأصنام». انظر: التدمرية (١/ ٩٠) مجموع الفتاوى (٢ / ٣٧٠) الرد على البكري (٢/ ٧٤٧). وقريب من معناها ما يسمى بالنرفانا وهي الغاية من جلسات اليوجا البوذية ومدارسها العصرية الوثنية.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شيء»[١].

فمن طلب الله بصدق وَجَدَه، ومن وجده أغناه وجودُه عن كل شيء.

فأصبح حرًّا في غِنى ومهابةٍ ... على وجهه أنوارُه وضياؤهُ

وإن فاته مولاه جل جلاله ... تباعد ما يرجو وطال عناؤهُ

ومن وصل إلى هذا الغنى قرّتْ به كل عين، لأنه قد قرت عينه بالله والفوز بوجوده، ومن لم يصل إليه تقطّعت نفسه على الدنيا حسرات، وقد قال ﷺ: **«من أصبح والدنيا أكبرُ همِّه جعل الله فقرَهُ بين عينيه، وشتّت عليه شمله، ولم يأته من الدنيا إلا ما قدّر له. ومن أصبح والآخرة أكبر همّه جعل الله غناه في قلبه، وجمع عليه شملَه، وأتته الدنيا وهي راغمة»**[٢].

فهذا هو الفقر الحقيقي والغنى الحقيقي، وإذا كان هذا غنى من كانت الآخرةُ أكبرَ همِّه، فكيف من كان الله سبحانه أكبرَ همِّه[٣]، فهذا من باب التنبيه والأولى»[٤].

---

(١) أثر إسرائيلي كما نص شيخ الإسلام في الفتاوى (٨/٥٢) ومعناه صحيح شريف.

(٢) أحمد (٢١٥٩٠). وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٤/١٣٠): «إسناده لا بأس به».

(٣) لاشتمال الآخرة والجنة على ما سوى الله تعالى، فأخلص هذا الموفّق همه لله محبة وتألّهًا.

(٤) طريق الهجرتين (١/٦٥- ٩٦) باختصار.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاستغناء بعلم السلف عن علوم الخلف

صح عن حبيبنا ﷺ قوله: «**خَيرُ أُمَّتي القرنُ الذين بُعثتُ فيهم، ثم الذين يلونَهُم، ثم الذين يلونَهُم، ثم يظهرُ قوم يَشهدُون ولا يُستَشهدُون، ويَنذُرون ولا يُوفُون، ويخونُونَ ولا يُؤتَمنون، ويفشُو فيهم السِّمَنُ**»(١) فكلما قرب العهد بعصر النبوّة كان العلم الشرعي أسلم وأحكم طردًا وعكسًا، فالعهد القريب بتنزّل الوحي وصحبة خير المرسلين صلى الله عليه وعليهم وسلم، ورؤيته ومجالسته وسماعه ومخاطبته، والتعبد لله بمقتضى ذلك العلم العتيق الصافي، ثم صحبة من صحبوه وأخذ العلم والعمل عنهم، ومخالطتهم وملازمتهم، ثم صحبة من بعدهم، وهكذا. فهو نور يتوهج ويصفو ويضيء بقدر قربه من المركز، ثم بصفاء وزكاء النواقل عنه وهم الصحابة فالتابعون فالأتباع، وإن حصل خلل عند بعض التابعين، وازداد عند أتباعهم إلا أنه في جملة الأمة باطل مضمحل لا يكاد يذكر، ثم مع مرور الزمان وتصرم السنين تثوب الفتن إلى أفئدة الفئام من الناس، ولكل بدعة وارث، ويأبى الله ألا يخلو زمان من قائم له بحجة وظهور وبلاغ.

فإن الله ابتعث محمدًا ﷺ بدين كامل، وشريعة تامة، فكان أعلم الخلق، وأفصح الخلق، وأنصح الخلق للخلق، ﷺ، ثم لم يقبضه إليه حتى رضي عن بلاغه الوافي، وبيانه الشافي، فكانت الأمة بعده على الصراط المستقيم، والمهيع

(١) البخاري (٢٦٥١) ومسلم (٢٥٣٥) من حديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القويم، لا تضل هداتها عن سنته، ولا تزيغ بصائرهم عن شرعته، كانوا على هذا زمنًا حتى أذن الله بابتلاء هذه الأمة المرحومة، وتمييز المؤمنين، واستبانة سبيل المجرمين، فنبتت نابتات سوء في العصر الأول من الأصحاب، فقام الصحابة لله حق القيام، وصاروا نجومًا في حنادس الظلام، ورجومًا لكل مبطل، وسعوطًا لكل مبدل، ومن قصد البحر استقل السواقيا.

وعلى آثارهم مشى التابعون، ثم الأتباع، فتمّت القرون المفضلة الثلاثة تمامًا على الذي أحسن، فدوِّنت السنن، وحفظت الشريعة، وقمع المبتدعون، وحورب المشركون، ودون العُلى ضربٌ يُدمّي النواصيا.

ما لاح برق أو ترنم طائر إلا انثنيت ولي فؤاد شيّق

وقامت منارات العلم في حواضر الإسلام بالوحيين تثجّ، وأتتها النفوس الراغبة من كل فجّ، فقرروا في نفوس الناس عظمة توحيد رب العالمين، وخطر ضده من الشرك الذميم، وحذّروهم من البدع بريد الكفر، ومن المعاصي بريد النفاق، فأمروهم بالمعروف، ونهوهم عن المنكر، فأطاعهم الصالحون والعامّة ديانة، والفسّاق حياء أو مخافة، فمخرت سفينة الإسلام والإيمان البحر بعزّ وسلام، وكرامة وإقدام، ورحمة وشفقة، ولم تزل مُذ سارت تُسالِمُ وتُسالَمَ، وتُحارِبُ وتُحارَب، من وَفَى لها وَفَت له، ومن غَدَرَهَا أوقعت به، ثبت فيها فئام، وتساقط منها آخرون، تعاون أهلها على حفظها بحفظ الله لها، كلٌّ على ما يسّر الله له، فالعمل للدين قرين الانتماء إليه.

وهذه السفينة هي الإسلام، وهي التوحيد، وهي السنّة، وهي السلفية،

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى وإن ركبها الأدعياء! وسرق اسمها اللصوص!، فليس في السلفية الحقّة شيء سوى الإسلام، وليس من الإسلام الأصيل شيء سواها، فباطنها وظاهرها الالتزام والدعوة إلى ما كان عليه نبينا صلوات الله وسلامه عليه، بلا وكس ولا شطط، مع قبول الاجتهاد المنضبط الدائر مع الدليل حيث دار، فهذا المنهاج السلفي هو عقد نظام الدين الصافي، والملة التالدة الخالدة التي قال فيها ﷺ: **«تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**(١).

وهذه الدعوة السلفية كمعادن الطيب النفيس، فكلما ازداد ضربها نصع طيبها وتضوع عبيرها، وهذا عائد لأنها تتضمن حقيقة الإسلام الصافي الذي لم يُشب بلوثة خرافة، أو حوبة زندقة، أو تحريف للكلم عن مواضعه، بل رجعت بالأمر إلى أوله، وهو التوحيد والسنة، وانطلقت منه وانتهجته، فانتظم لها الدين جملة، وانسجمت تصورات العقول مع حاجات القلوب وأعمال الجوارح، فكان من أراد محض الإسلام الذي لم يُشب؛ ناله بأيسر جهد، موافقًا لفطرته السويّة، وعقله الذكيّ، خاليًا من الأكدار والتعقيدات والمقدمات والآصار والأغلال، فوجدت الفطرة طريقها السويّ فسكنت، وتاقت إليه الروح ونالته فخشعت، وأطلق العقل عنانه المنضبط في مهيعه وسُمُوِّه، وأظهرت هذه الدعوة للأمة المهديّة المرحومة طريق نبيهم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، واضحة آثار سيره عليه، محفوظ المسلك، بيّن المعالم،

(١) رواه أحمد (٤ / ١٢٦) وصححه الألباني.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يسير المرء فيه فيراه واضحًا جليًّا، فلا يستوحش ولو سار وحده، لكثرة من يرى مِن سَلَفِهِ الذين قد ساروه وسلكوه، فيرى آثار نبيه ﷺ، وعلى إثرها الأصحاب والتابعون والأتباع، ومن سار على تلك المحجة القويمة، واستقام على ذلك الصراط المستقيم، ويرى الأئمة فيه بسِيرهم وأقوالهم وفتاويهم يرشدونه حتى لا يضل، ويبصّرونه حتى لا يزيغ، ويعِظُونه حتى لا يتنكّب صراط المُنعَم عليهم، الذي امتن الله به عليه، فتستأنس نفسه في ذلك الطريق المسلوك بمعيّة من ساروا عليه من بدور الدجى وحرّاس الملة وحفّاظ الإسلام، فيرى الواقف في طرف الطريق قوافل الأئمة والصالحين والصديقين والعبّاد والشهداء، يسبقهم نبيهم ﷺ، قد تركهم في أوله وينتظرهم في آخره. فليس في ذلك الطريق الجميل شرك ولا بدعة ولا فسق، بل توحيد وسنة وطاعة. جعلنا الله جميعًا ممن حقّق ذلك ومات عليه. آمين.

وإذا تـــولاه امـــرؤٌ دون الـــورى ... طـــرّا تـــولاه العظـــيمُ الشَّـــانِ

وأهل الإسلام هم كما قال فيهم نبيهم ﷺ **«كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»** متفق عليه(١)، ولهما مرفوعًا: **«كالبنيان يشد بعضه بعضًا»**(٢).

وقد مدحهم ربهم جل وعلا بقوله: ﴿رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«إنه ليبلغني عن الرجل من أهل السنة أنه مات،**

(١) البخاري ٨/١١ (٦٠١١) ومسلم ٨/٢٠ (٢٥٨٦).
(٢) البخاري ٣/١٦٩ (٢٤٤٦) ومسلم ٨/٢٠ (٢٥٨٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكأنما فقدت عضوًا من أعضائي». وأهل السنة يعرفون الحق، يرحمون الخلق ويمحضونهم النصح، وهل ذلك إلا بأن تتحقق الشهادتان في النفوس ظاهرًا وباطنًا. فالحمد لله الذي أكمل لنا الدين ورضيه.

وقال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] «أكمل لهم الدين، فلا يحتاجون إلى زيادة أبدًا، وأتمه فلا ينقصه أبدًا، ورضيه فلا يسخطه أبدًا»(١).

وقال أبو ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلّب جناحه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا» رواه أحمد(٢).

وقال بعض المشركين لسلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لقد علّمكم نبيكم كل شيء حتى الخراءة، فقال: «أجل...» رواه مسلم(٣).

وبأسفٍ؛ فما زال بعض أبناء الملة وأهل القبلة، يغبّشون صفاءها باستحسانات يقدحها الهوى في أفئدتهم، فيبثّونها في العامّة دون الرجوع لِحِكْمَةِ وعلم العلماء، لأنهم قد أسقطوهم من مرجعيّتهم، إذ عنّ لهم أنهم رجال وهم رجال، وما الفقه لأحد دون أحد.. أمّا الخيام فإنها كخيامهم!

ومن ثمّ بثّوا شُبههم التي ظنوها حججًا، ونفخ بعضهم في كيرها، فطار

---

(١) تفسير ابن جرير الطبري (٩/٥١٨).

(٢) المسند (٥/١٥٣، ١٦٢).

(٣) مسلم (٢٦٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شررها إلى أطراف خيمة الإسلام، فإن لم يدركها أهل العلم والفضل وإلا فالخوف أن يدرك مارِجُها الأركان، فالشبهة تبدأ هزيلة سقيمة فَتُغَذى بلبان الهوى، وتُنشَر في الأنام كأنها حقيقة مسلّمة، فتُتَلَقّفُ ممن قل نصيبه من الفقه، وما أكثرهم! والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبرُ!

ظنّوها ثهلان ذا الهضبات ما يتحلحل، فإذا بها سحابة صيف عن قليل تقشّع، حقيقتها برق خُلّب، وإن زخرفوها بحسين الكَلم، ورصفوها مكرًا لبادي الرأي، ثُمّ العجب أنهم لها أحنُّ من شارف، وعليها أحذرُ من غراب، كأنهم لم يخلقوا إلا لها، ولن يسألوا عن سواها، فصيّروها شعارًا عليه معاقد الولاء والبراء، فمن نبّههم أو أنكر باطلهم ردوا بحالهم ومقالهم: أساجلك العداوة ما بقينا! ثم استقبلهم أبو مرّة[1] بلحيته، وتلفّع لهم بعمامته، فظنوه ناصحًا مشفقًا، وما دروا أنه من أزّهم لذلك، وجمع لهم ما هنالك، والباقعة أنهم ممن عُدَّ من أهل الدين، والفارس لا يغزو قومه، والرائد لا يكذب أهله، ولكن؛ إذا اللهُ سَنَى عقد أمر تيسّرا.

وظلم القريب يغصّ الحلوق ... ويجري من العين دمعًا بدمْ
فضيم البعيد أذى قد يداوى ... وكيد القريب مصاب أطمّْ
إذا قدوة القوم أمسى لئيمًا ... وباع بأخراه دنيًا أذمْ
فكبّر وسلّم على أمتي ... فقبل الوفاة يكون السقمْ

وبالجملةِ؛ فالسُّنة كلّها خير مهما اشتدّت، والبدعة كلّها شرّ مهما تلوّنت

(١) كنية إبليس أعاذنا الله جميعًا منه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتقلبت وتبهرجت، لذا فكلما رفعت بدعة كاهلها قيّض الله لها دقًّا وكسرًا بصوارم السنّة على أيدي الأئمة الحنفاء وهل هم إلا أئمة السلف الصالح، وأتباعهم حملة ذلك العهد الرباني، والنهج النبوي؟ فلا تخلو الأرض من قائم لله بحجة، فلما ارتد من ارتد من العرب، قصفهم الله بصارمه الصديق الأكبر، الذي قاد ألوية الموحدين من مدينة النبي الأمين ﷺ لدكّ معاقل الردة، وردّ الأمة لدين الله أفواجًا، ولمّا بث الشيطان سراياه الفكرية الكفرية المبدّلة للدين، والملوّثة للملّة، قام عليهم إمام السنة المبجل أحمد بن حنبل معه أئمة جهابذة، حاربوا الفتن، ورد الله بهم الباطل.

تناثر العلم شهدًا من ثغورهمُ أكرم به منبعًا للدين ينسكبُ

ثم هدأ الناس زمانًا حتى ثاب بعض من تلوّثَ ببدع القول لمذاهب منبوشة من رفات الفلسفة الإغريقية، إذ لم يكتف بعضهم بتقريرات أئمة السنة ونقضهم لها قرابة ثلاثة قرون منذ عهد أحمد وأقرانه، وراجت تلك المذاهب في بعض المنتسبة للعلم فتخطفت قلوبهم وبصائرهم فصنفوا وخطبوا ما أضلوا به الناس وفتنوا به العامة، وزينوا المنطق والفلسفة، وجعلوا مقدماتها الممتنعة وتقعيداتها المعقّدة شروطًا للإيمان، وضرورة لكل متعلم، ورفعت الرافضة عقيرتها بالدعوة إلى وثنيتها، وتنادت عبدة الموتى لإغواء العامّة، حتى عبّاد الصليب صار لهم طمع في ردة أهل الإسلام! وانتشرت الشّبه بين من رام العلم، وسقط في شباكها الكثير، فعظمت بهم البلية، وتكاملت بهم الرزية، حتى قيض الله للإسلام من هدّ عروشهم، وزلزل صروحهم، وجعل أعاليها أسافلها، ودكّ معاقل إحداثهم وحصون فتنتهم فأوهاها وأسقطها، وفضح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبههم وكشفها وعرّاها، ذاكم هو شيخ الإسلام الرباني وإمام السنة الثاني، أحمد بن تيمية الحراني، فما زال يصول بالله ويجول ويقاتل بعلمه وعمله، ولسانه وسنانة هو ومن تابعه من الأئمة وأهل الفضل، فما زال كذلك حتى قَبَضَه الموت في ذات الله سجينًا صابرًا راضيًا حامدًا شاكرًا، ولا نزكيه على الله، قد جعل الله جنته وبستانه في صدره، فرحل إلى ربه وهو يتلو: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥][(١)].

---

(١) قال الحافظ الذهبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لم يأت قبل ابن تيمية بخمسمئة سنة مثله»، أي: بعد الإمام أحمد المتوفى سنة ٢٤١هـ.

قال الإمام ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا: «ولا نعلم إلى عصرنا هذا من قد أتى مثله، رَحِمَهُ ٱللَّهُ».

قلت: فمنذ ١٢٠٠ سنة لم يأت أحد كهذا الإمام المجدد الصدّيق، فهل يُلام من أحبه ووثق بنصحه وعلمه.

ونقول فيه كما قال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في ابنه سالم:

يَلُومُونَنِي فِي سَالِمٍ وَأَلُومُهُمْ وَجِلْدَةٌ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالأَنْفِ سَالِمُ

ومن طعن في الإمامين ابن تيمية أو ابن عبد الوهاب فاتهمه على الإسلام، فقد قاما بالدين حق القيام، وجدد الله بهما ما اندرس من معالم الإسلام. قال الشيخ عبد الكريم الخضير في شرحه لبلوغ المرام، كتاب الصلاة: «وقد سئل الشيخ محمد رشيد رضا عن شيخ الإسلام ابن تيمية؛ هل هو أعلم من الأئمة الأربعة أم هم أعلم منه؟ فأجاب بجواب موفق فيما أحسب، قال: باعتبار أن شيخ الإسلام تخرّج على كتب الأئمة الأربعة، وكتب أتباعهم فلهم الفضل عليه من هذه الحيثية، وباعتباره جمع بين ما قالوه وأحاط بما كتبوه، يعني إحاطة بشرية لا يعني هذا أن =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثمّ حمل الراية تلاميذه وكثير من أقرانه على سننه الحميد وفعله الرشيد، وليس به وحده جُدّد الدين لكنه بزّ أهل زمانه في حمل لوائه وفاقهم في عظيم بلائه، وسار الناس على السنن المحمدي سنيًّا، ثم لم يلبث إبليس أن أغرى بعض الطّغام بعبادة الطاغوت جهارًا، وبذبح الحنيفية عند عتبته نهارًا، كما قال شيخ الإسلام: «إذا انقطع عن الناس نور النبوة وقعوا في ظلمة الفتن، وحدثت البدع والفجور، ووقع الشر بينهم»[(١)] حتى رحم الله تعالى الأمة بجيل راشد، يقوده إمام هدى، هو ابن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ فهبّت صبا نجد بالعلم والإيمان، فكان نسيمها راحة وهداية وبصيرة للراغبين.

خليليّ من نجدٍ قفا بي على الربى ... فقد هبّ من تلك الديار نسيمُ

وكانت حصباؤها رغامًا واجتثاثًا لصروح القبوريين، وكما صحّ عن أمير المؤمنين عثمان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «إن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن»[(٢)] فعاد الناس لدينهم، وآبوا لسنة نبيهم ﷺ. فلم يقبض الله الإمام المجدد حتى أقرّ

=

شيخ الإسلام أحاط بكل ما كتب أو ما قيل، نعم، فهو من هذه الحيثية أشمل منهم علمًا، هذا كلامه، وهناك أمر ينبغي أن نتنبه له وهو فضل علم السلف».

ولد شيخ الإسلام سنة ٦٦١ ومات سنة ٧٢٨ وله ٦٧ سنة و١٠ أشهر، رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ولا فضل إلا بالتقوى وتمامها العلم والإيمان. وهؤلاء الأئمة سلمان والحسن البصري وابن سيرين وسعيد بن جبير وعكرمة ومجاهد، كلهم من فارس و«**لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال من هؤلاء**» رواه البخاري (٤٨٩٨) ومسلم (٢٥٤٦).

(١) مجموع الفتاوى (١٧/ ٣١٠).

(٢) ينظر: التمهيد لابن عبد البر (١/ ١١٨) تاريخ بغداد (٤/ ١٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عينيه برؤية ثمار دعوته وجهاده، وما عند الله خير وأبقى، ولا نزكي على الله أحدًا.

عسى جدث يحوي رفاتًا لحِبِّنَا ... رياض جنان مترعات سواقيا

ثم أتمّ علماء الدعوة السَّنِيَّة السُّنِّيَّة ذلك التجديد، فزكت شجرة الإسلام بتيك الكوكبة من العلماءِ الذين قاموا بالحق وبه يعدلون، فأظهرهم الله وأعزهم، على قلة المعين وضعف الناصر، فما برحوا يقيمون الديانة، ويحرسون معالم الملة، ويذودون عن أصول السنّة، ويَجلُون عرائس المعاني لراغبيها، ويزفّون أبكار خرائد المعارف لخاطبيها، فلله هم من أنجم وأقمار، ورواسٍ وأنهار!

أتاك حديث لا يُملّ سماعه ... شهيّ إلينا نثره ونظامه

إذا ذكرته النفس زال عناؤها ... وزال عن القلب المعنّى قتامه

ثم خرج ممن استظلوا بنعمة السنة، وتربّوا في رحاب مدرسة علماء الدعوة، وتخرجوا على علمهم، فأخذوا يناكفونها، زعمًا أنهم يقوّمون المنهج ويصوّبون المسار! وما علموا أنهم قد أُخِذُوا بشبهات من سبقهم من مناوئي الدعوة النجدية السلفية، فما هم سوى أبواق سوء، ورُسُل بغْي، لمن خُلِبوا بهم وفُتِنوا، حالهم:

ويقبح من سواك الفعل عندي ... وتفعله فيحسن منك ذاكا!

ولو أنّهم تريّثُوا وتمهّلوا، وراجعوا أنفسهم وتجردوا، وتدثروا بالتقوى، والتحفوا الورع؛ لأدّاهم ذلك إلى الهدى، ﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[البقرة: ١٨٩] وقد ركب موجتهم فئام من الأغرار، أو طوائف من الفجار، فتارة يركض معهم المستنوقون «العصرانيون» المنهزمون، وتارة التزويريون «التنويريون» المميّعون، ومتأسلمة العلمانيين، ناهيك عن أهل الخرافة من المتصوّفة والمتشيّعة، أو أذناب الكفرة من العلمانيين والليبراليين والمستغربين، وخلف صفوف هؤلاء مجامع الاستشراق ونوادي الفكر الموجه، ودوائر البحوث والدراسات الممنهجة ضد الحق. فحاربوا الدعوة صفًّا واحدًا، وتفرقوا إلا عليها، فتنوّعت طرق حربها، وتباينت سبل ضربها، فتارة في إسقاط الرموز باتهامهم في نياتهم.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصومُ
كضرائر الحسناء قلن لوجهها ... حسدًا وبغيًا إنه لدميمُ

وأخرى بضرب المنهج، واتهامه بأنه دخيل على الإسلام.. رمتني بدائها وانسلت!

وثالثة بافتراء أحداث من وحي الخيال وزاملة الكذب، ولطخها بصفحة تلك الدعوة الصافية، وفي كل عصر لهم جنود مجنّدة، وشُبَهٌ ملوّنة ﴿ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ﴾ [محمد: ٤] وللنار ملؤها وللجنة ملؤها. وتوارد هؤلاء المخذولون، وأولئك الموتورون على الهجوم على الدعوة السلفية أصالة أو نيابة.

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه ... وصدّق ما يعتاده من توهمِ

فمن جزافهم وخطلهم؛ قولهم: إن للشيخ محمد بن عبد الوهاب مآرب

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سياسية ومالية! أو أن حركته خارجية تكفيرية، وأنه يكفّر الأمة بعمومها، أو أنه مبغض لرسول الله ﷺ، أو أنه مدع للنبوة، أو أنه مرجئ لا يكفر أحدًا مهما غلا كفره(١).

ثم ظهر الآن من يزعم أنه لا يختلف مع الشيخ علميًّا لكنه لا يوافقه عمليًّا في المبدأ الأصيل التكفير والقتال، وهذا من تناقضه فأين الكفر بالطاغوت والبراءة منه؟! وبعضهم يتجاوز الشيخ إلى تلاميذه من علماء الدعوة فيتهمهم بأنهم خالفوا منهج الإمام وأنه لم يكفّر من قامت عليه الحجة، ويتعلق بمتشابه من القول، ويعرض عن المحكم المضطرد، وقد كفانا أئمة الدعوة رد كل شبهة، فقد سطروها في كتبهم وفتاويهم وردودهم.

ومن أولئك المدهنون من ينتسب للسلفية ويخالف منهجها بغموض وغمغمة، يريد بوهمه أن يبقى في المنطقة الرمادية التي حقيقتها ﴿مُّذَبۡذَبِينَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ١٤٣] كالشاة العائرة بين الغنمين، ولم يعلم أن أصول الدين وثوابت المنهج لا تقبل أنصاف الحلول، فلا منزلة بين المنزلتين ولا طريق بين السبيلين، بل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِتَسۡتَبِينَ سَبِيلُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥] ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] فنرى ذلك البائس يحبّر الصفحات يظنها ماءً

(١) وانظر: دعاوى المناوئين د. عبد العزيز العبد اللطيف، (عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثرها في العالم الإسلامي) د.صالح عبد الله العبود. وانظر: (ويكون الدين كله لله). للمؤلف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

زلالًا، وليست بشيء إنما هي حديث خرافة، وسراب بقيعة:

أظلّت علينا منك يومًا سحابة ... أضاءت لنا برقًا وأبطا رشاشُها
فلا غيمُها يجلو فييأس طامع ... ولا غيثها يأتي فيروى عطاشُها

وأصبح تنويريّهم! أوعصرانيّهم! المنتسب للسلفية يُجْمِلُ الخطابَ مداهنة لا مداراة، ولا يبالي بأن نسبته المتمشعرة أو المتصوفة بل والمتشيعة لها! فصار كمن جره القرش لبحره، والعقرب لجحرها ﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]. بل ربما والى بعضُهم أهلَ الصليب وداهنهم في دينه.

أيها المبتلى بحب الكلاب ... لا يحب الكلاب إلا الكلاب
لو تعريت وسطها كنت منها ... إنما فقتها بلبس الثياب

ونحن في زمن اشتدت فيه ضراوة الشّبه، وتخطّف كَلَبُها كثيرًا من منتسبة العلم، ففي كل يوم لها صريع أو قتيل، وليتهم لوحدهم بل قد جرّوا معهم فئامًا من الأمة أحسنوا الظن بهم، وعلّقوا بكلامهم الحق، فصاروا رؤوس باطل، ودخان ضلالة، قد رُوِّعُوا وأُخنعوا بعبارات المستغربين وأفراخ المستشرقين وأذنابهم في وصف منهاج النبوة بالراديكالي والمتشدد والمتطرف واليميني والرجعي والظلامي والوهابي[1] فراحوا ينقّبون في الآثار والسير لا

(١) عن مصطلح الوهابية قال الملك سلمان بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله تعالى: «إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليست منهجًا جديدًا، وليست فكرًا جديدًا، وأكرر هنا المناداة بأن من يستطيع أن يجد في كتابات الشيخ ورسائله أي خروج على الكتاب والسنة وأعمال السلف الصالح، فعليه أن يبرزه ويواجهنا به. لذا أدعو =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليردّوا عادية أولئك بقوة وعزة وشمم، ولا ليصولوا عليهم ويُخرسوهم بالبراهين والحجج! بل ليجدوا لهزيمتهم النفسية تأويلًا ومخرجًا يلوون به باقي الأدلة لينفوا كلام الأسياد «الخصوم» وينفوا عن الدين الصلابة والشدة والغلظة مع أهلها، فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ [البقرة: ٦١] فإن اشتد خطابهم، وأرقلت رواحلهم، وحُدَّت حرابهم؛ فإنما ذلك على إخوانهم.. بينما سَلِمَ منهم شرُّ البرية!

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وحين اتهم مستشرقون الإسلام بأنه قد انتشر بالسيف، قابلهم المنهزمون المخذولون الذين طغت عليهم عقدة المغلوب، وراعتهم صولة الصليب وغَيَاية المادة؛ فنفوا ـ عن حسن نية، وضعف بصيرة ـ القتال في سبيل الله! وصيّروه جهاد

=

الكُتّاب والباحثين إلى عدم الانسياق وراء من ينادي بالوقوع في فخ مصطلح الوهابية وأنه مجرد مصطلح، بينما يتناسى هؤلاء الهدف الحقيقي من وراء نشر هذا المصطلح للإساءة إلى دعوة سلفية صحيحة ونقية، ليس فيها مضامين تختلف عما جاء في القرآن الكريم وما أمر به نبيه محمد ﷺ، بخاصة أن هذا التشويه جاء من جهات متعددة لا يروق لها ما تقوم به تلك الدعوة الصافية من جهة، وما أدت إليه من قيام دولة إسلامية تقوم على الدين أولًا وتحفظ حقوق الناس وتخدم الحرمين الشريفين، وهي الدولة السعودية التي مكنها الله في هذه البلاد لتخدم المسلمين جميعًا وتحافظ على هذا الدين، لأنها قامت على أساسه ولا تزال» (عن جريدة الحياة اللندنية. الأربعاء ١٤ جمادى الأولى ١٤٣١هـ).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدفع دون الطلب، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الصف: ١٠، ١١].

﴿وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [البقرة: ١٩١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ١٢٣] وهل يجرؤ مسلم على توجيه آية التوبة هذه إلى جهاد الدفع، وهي في غاية الصراحة في الطلب: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩] وقال إمام المجاهدين صلوات الله وسلامه عليه: **«بعثت بالسيف بين يدي الساعة، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعلت الذلة والصغار على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم»** رواه البخاري معلقًا(١)، ومن لم يثق في الوحي ثقة مطلقة فلا ترجه.

ومن الآخيّة عينها ـ أعني الزهادة في السُّنَّة ـ دفّت دافة الاعتزال، ونبتت نابتة الإرجاء بل والخرافة في بعضهم، فليتنبه الغيورون لذلك. وهذه نابتة لا بد من قطعها قبل استفحالها، لأنها تُلبس الباطل والإرجاء لباس السنة

(١) البخاري (٦/٩٨) (الفتح). ووصله أحمد (٥١١٤) وصححه الطبراني في تفسيره (١٠/٢/٥٨) وصححه أحمد شاكر في تخريج المسند وابن باز في مجموع فتاواه (١٣/٤٠٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والسلفية، كما أن من واجب الوقت ردّ صيال الطرف الآخر سليل فكر الخوارج ووارث تعنتهم الفكري وضلالهم المنهجي وغلوّهم في الدين، الذين خرجوا على أهل الإسلام فكفّروهم، واستحلّوا دماءهم وأعراضهم، ولم يعلموا أنهم بذلك قد حكموا على أنفسهم بأن صاروا شرّ الخلق والخليقة(١)! عياذًا بالله تعالى. وإنما تُردُّ عاديات هؤلاء وأولئك ببراهين الوحي، ومحكمات الشريعة(٢).

لقد ضيع بعض قومنا الثوابت عند ازدحام الأحداث، وكثرةُ مزالق الناس، وكبار سقطاتهم ليست مبررًا لغيرهم إذا سقط، ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ﴾ [القيامة: ١٤، ١٥] ولا يصحّ في النّهاية إلا الصحيح، ﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الرعد: ١٧] والعاقلُ لا يبني قصرًا ويهدم مصرًا.

وبعض هؤلاء متلوّن متقلب، في الصباح يحرّر ويقرّر، وفي الظهر يصوّر ويبرّر، وفي المغرب ينقض ويكرّر! لا ضابط له ولا تأصيل، تارة يشرّق

---

(١) كما جاء وصف الخوارج بذلك من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا. (٢٠٦٧).

(٢) الشرع في هذا الزمان يطلق ويراد به أحد ثلاثة معان: شرع منزل؛ وهو الكتاب والسنة، وشرع متأول؛ وهو موارد الاجتهاد التي تنازع فيها العلماء، وشرع مبدل؛ مثل الأحاديث الموضوعة والتأويلات الفاسدة والأقيسة الباطلة والتقليد المحرم، وانظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٤٣٠ - ٤٣١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأخرى يغرّب، ضالّته حيث حطّت رحلها أم قشعم:

يومًا يمان إذا ما جئتَ ذا يمنٍ وإن لقيتَ معدّيًّا فعدنان

حتى مسألة سيادة الشريعة والحكم بما أنزل الله جدّ فيها عندهم نظر! ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦] ناهيك عن التشبه بالكفّار ومسائل الغناء والمعازف والاختلاط والحجاب... وتبرير ذلك الغثاء بهزال أغثى! ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم: ١٠].

بل وحتى تهنئة الكفار على كفرهم وجدت لها بين هؤلاء داعيًا ومجيزًا، همُّ بعضهم تتبع الشذوذات التي تُطرب أشباه الفُسّاق الباحثين عن أي تكأة أو مخرج من قيود الشريعة وحياض الأحكام، ظنّ ذلك المُزيِّف نفسه قد أتت بمسائل وحررت أحكامًا لم يعلمها السلف! أو قصرت عنها أفهامهم! أو علموها فخافوا! حتى صدع بها ديانة وأمانة! اللّهم غفرًا، كأنّما يقول: ها أنذا فاعرفوني، ثم ماذا ؟! حال بعضهم كمن بال في بئر زمزم، فلما سئل قال: كي يعرفني الناس! وصدق، فقد عرفه الناس بشرّ عمله، وخطيئة قلمه، وسيشهدون عليه بين يدي الديان يوم الحساب حين تضمحل الزيوف، ويبقى ما أُريد به وجه الله، وكان على سنة رسول الله ﷺ. قال أبو العالية: «كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون، ماذا كنتم تعبدون، وماذا أجبتم المرسلين»(١).

مآرب كانت في الحياة لأهلها عِذابًا فصارت في المماتِ عَذابًا

(١) ينظر: مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام (١٥/ ١٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والإسلام منصور بنا أو بغيرنا، والسعيد من ركب تلك السفينة، ورافق أولئك القوم، والله حافظٌ دينه ومعلٍ كلمته ولو كره المشركون، ولو زاغ الزائغون، ودينه كامل لا يقبل الانتقائية، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

ولمّا اشترط بعض الناس شروطًا في بيعة الإسلام تناقض ثوابته، ردّ رسول الله صلى اله عليه وسلم ذلك عليهم حتى يدخلوا في السِّلم كافة، ولما قال عمر لأبي بكر: «يا خليفة رسول الله! تألّف الناس». قال له أبو بكر: «يا ابن الخطاب! أجبّار في الجاهلية، خوّار في الإسلام؟! رجوت نصرك فجئتني بخذلانك! علام أتألفهم، أعلى حديث مفترى؟! أم على شعر مفتعل؟!».

ولم يوفّق في الكلام في ذلك بعض الفضلاء، وليتهم إذ لم يعلموا أو اشتبهوا سكتوا، وليتهم إن حسبوا أنهم علموا تريّثوا وشاوروا الراسخين ممن تنقطع دونهم أعناق المطي، وقد سهّل الله تواصلهم، ولكن أبت أمُّ الندامة ذلك! وزلّة العالِم زلّة العالَم، ومضروب لها الطبل، ومحمولة عند المناوئين على أسوأ المحامل، فتكلّم بعضهم بكلام غريب، فمهّدوا وجعلوا الكلام في الشريعة وأصول الدين وكبار المسائل كلأً مباحًا لكل دعيٍّ ومتعالم! حتى جعلوا وحي الله وشرعة الخالق المالك ألعوبة بيد عبيده ومماليكه! مراعاة لخواطر أعداء الشريعة وعبدة الصليب ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣] وما ثَمّ إلا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

توفيق الله، ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

يهـون علينـا أن تصـاب جسـومنا وتسـلم أعـراضٌ لنـا وعقـولُ

هذا، ولابد من تحرير مسألة الأسماء والأحكام في باب الإيمان، وتأصيلِ العامّة عليها، وقد خدمها العلماء والباحثون بحمد الله بمدونات محررة وبكلام محقق، ومن المهمّات بيان براءة المنهج السلفي من الضلالتين؛ المفْرِطين الغلاة، والمفَرّطين المقصرين، فالبعض من قومنا قد هرب من التكفير بالباطل فوقع في الإرجاء المذموم، وكلا طرفي قصد الأمور ذميم. وكما أن القول بتكفير المجتمعات قول خطير فكذلك القول بإسلام المشركين الذين قامت عليهم الحجة قول خطير، فكلا القولين خلل منهجي في باب الإيمان، ثمّ جاءنا آخرون بقول شاذ حيث ألمحوا لاتهام الإمام بالإرجاء وأئمة الدعوة بالخروج! وما أعجب فهوم الناس!

قال مفتي الديار النجدية الشيخ عبد الله أبو بطين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقد استزل الشيطان أكثر الناس في هذه المسألة، فقصر بطائفة فحكموا بإسلام من دلت نصوص الكتاب والسنة والإجماع على كفره، وتعدى بآخرين فكفّروا من حكم الكتاب والسنة والإجماع بأنه مسلم، فيا مصيبة الإسلام من هاتين الطائفتين، ومحنته من تينك البليتين»(١).

(١) فتاوى الأئمة النجدية (٣/٣٣٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجنس هؤلاء المشركين وأمثالهم ممن يعبد الأولياء والصالحين، نحكم بأنهم مشركون، ونرى كفرهم إذا قامت عليهم الحجة الرسالية، وما عدا هذا من الذنوب التي هي دونه في المرتبة والمفسدة لا نكفّر بها... ونبرأ إلى الله مما أتت به الخوارج، وقالته في أهل الذنوب من المسلمين»(١).

إذن فلا بد من تكفير من يستحق، بعد اكتمال الشروط وانتفاء الموانع، لا كما يقوله بعضهم: إن الاحتياط أن لا تكفّر أحدًا أصلًا! وهل هذا الاحتياط البارد والورع الأعور إلّا عين المضادة للقرآن الكريم، والمشاقة للسنة المطهرة، سواء من الكفار الأصليين، أو المرتدين.

وليس من الإسلام في شيء ما يفعله أفراخ ذي الخويصرة وذي الثديّة من تكفير أهل الإسلام، وحرب أهل الإيمان، وشق صف أمة محمد ﷺ. وقال المشايخ عبد الله بن عبد اللطيف وإبراهيم بن عبد اللطيف وسليمان بن سحمان: «وأما قوله عن الشيخ محمد أنه لا يكفر من كان على قبة الكوّاز ونحوه، ولا يكفر الوثني حتى يدعوه وتبلغه الحجة فيقال: نعم، فإن الشيخ محمدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يكفر الناس ابتداءً إلا بعد قيام الحجة والدعوة، لأنهم إذ ذاك في زمن فترة أو عدم علم بآثار الرسالة، ولذلك قال: «لجهلهم، وعدم وجود من ينبههم» فأما إذا قامت عليهم الحجة فلا مانع من تكفيرهم وإن لم يفهموها... ولا يجادل في هذه المسألة ويشبّه بها إلا من غلّب جانب الهوى،

(١) الدرر السنية (١/٥٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومال إلى المطامع الدنيوية، واشترى بآيات الله ثمنًا قليلًا»[١].

فعدم تكفير المجدد لبعض الناس ليس نفيًا لحقيقة الكفر عن مرتكب الكفر الأكبر ـ تكفير الوصف ـ بل نفي لتكفير المعين ـ الشخص ـ قبل إقامة الحجة عليه، فهذه الأفعال مكفرة عند الإمام ولكن لاحتمال وجود الموانع توقف، وهذا مسلك نفيس، وهو جادة أهل السنة على امتداد الزمان، وهذا مضطرد في كتبهم ورسائلهم.

وقال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البراءة من منهج الخوارج الذين يكفّرون بالكبيرة ومحذّرًا من ضلالهم: «وأما ما يكذب علينا سترًا للحق، وتلبيسًا على الخلق، بأننا نكفر الناس على الإطلاق من أهل زماننا... فجوابنا سبحانك هذا بهتان عظيم، فمن روى عنا شيئًا من ذلك أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى»[٢].

قال عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «لا تجد المؤمن كذابًا» وقال سعد بن أبي وقاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يُطبع المؤمن على كل خلَّة غير الخيانة والكذب» وقال الأحنف: «ما خان شريف، ولا كذب عاقل، ولا اغتاب مؤمن، وكانوا يحلفون فيحنثون، ويقولون فلا يكذبون». وقال: «اثنان لا يجتمعان أبدًا؛ الكذب والمروءة». قلت: فأخص صفات المؤمن الصدق، وأخص صفات المنافق الكذب.

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ٤٣٤ - ٤٣٥).

(٢) الهدية السنية: عن دعاوى المناوئين (١٢٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولـــيس يصـــح في الأذهـــان شيء إذا احتـــاج النهـــار إلى دليـــل

وسبيل علماء الأمة واحد في البراءة من التكفير بغير حق، وفي البراءة من عدم التكفير بإطلاق، والتطبيق فرع عن التنظير. ومن أولى المسائل الكبار التي وقع فيها الاختلاف والتفرق؛ مسائل التكفير والتبديع والتفسيق.

ومؤرخا الدعوة ابن غنام وابن بشر ـ والأول من تلاميذ المجدد ـ قد شاهدا حال الناس إذ ذاك، فهما أعلم بواقع ذلك الزمان وحال أهله من بعض المؤرخين المعاصرين الذين شكّكوا في بعض الأمور.

قال الشيخ سليمان بن سحمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيـا أيهـا الإخـوان جـدوا وشـمروا لنصـــرة ديـــن الله بالمـــال واليـــدِ
وبيعـوا نفوسًـا في رضـا الله واطلبـوا بـــذاك خلـــودًا في نعـــيم مُؤبَّـــدِ

وبعض الكتّاب يقسّم السلفية لأقسام ويشرذمها لأنواع؛ فهذه سلفية تقليدية، وتلك جهادية، وثالثة علميّة، ورابعة إصلاحية، وخامسة وسادسة..! وهذا باطل، فالسلفية مدرسة واحدة، ومنهج واحد، واضح المعالم، بيّن القَسَمَات، والسلفية اسم مطابق لمعناه، ومعنى موافق لمبناه، فمن كان على ما كان عليه أهل العلم والدين في القرون المفضلة الثلاثة فهو سلفي.

وليس من السلفية في شيء تكفير المجتمعات الإسلامية أو الأفراد بمجرد الكبائر، أو الافتئات على الولاة، أو إيغار صدور شعوبهم عليهم، أو الخروج عليهم بإطلاق، ولا خفر ذمة المسلمين بالغدر بأهل ذمتهم وعهدهم، وإنهار الدماء المعصومة والأنفس المصونة من أمة الإسلام، أو ممن عاهدوهم على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأمان والمسالمة.

وليس من السلفية في شيء الخنوع للكفرة والمستشرقين والمستغربين، وإقرار الربا والخنا والتغريب، بداية بالتبرير وانتهاءً بالتبديل، ﴿ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا۟ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١]. ﴿ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴾ [المائدة: ٥٢].

وليس من السلفية في شيء تصيّد عثرات أهل العلم والدعوة، وإشاعتها على سبيل التّنقّص والشماتة، واستباحة أعراض أهل السنة بغيبتهم وأخذهم بالظّنّ، واعتساف كلامهم، والتحزّب لذات التحزّب، أوالتحزّب هربًا من التحزّب ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ [الحج: ٧٨] والبذاء والإقذاع في الإنكار كيف وذلك على أمور يسوغ فيها الخلاف؟! ـ ولا يعني هذا ترك الرد على الغلط والخطأ، بل ولا بأس من التسمية إن دعت الحاجة، وسبيل السلف الرد والاحتساب فيه بضوابطه المعتبرة..

أفاطمُ ما للنبع قد أجّ ماؤه ... وقد كان قبل اليوم عذبًا وصافيا

وليس من السلفية في شيء التفريط في حقوق شهادة أن لا إله إلا الله، فيُخرجُ منها أهلها، ويُغفل عظيم حقها وحق أهلها. ولا التفريط في حقوق شهادة أن محمدًا رسول الله، فتميّعُ السنة، ويدخل فيها من وما ليس منها.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وليس من السلفيّة في شيء تطويع أدلة الوحي لهوى السّاسة والسلاطين، وليس من السلفية في شيء تمييع الدين القويم، وتلويث المنهج النقي أو تبديله إما لرغبة حاكم أو حزب أو جمهور، كما قال السفيانان رحمهما الله: «من نجا من فتنة البدع وفتنة السلطان فقد نجا من الشر كلّه»(١)

أيا مبتغي الفردوس عجّل بصارمٍ ... وكن صادق الإقبال عند التلاقيا
فإن تحي عشت العزّ في كل لحظة ... وإن كانت الأخرى ستلقى المراقيا

واعلم أن هذا الدين محارب من زنادقة دخلوه ليهدموه وينقضوا أساساته وأعمدته ويُبدّلوا مادته من الداخل، ولا زال لهم أفراخ تقتات على لوثات مصنفاتهم الخبيثة، وتقيئها في نوادي الفكر، ومجالس الحوار، ونشرات الثقافة، وقنوات الأثير! وقد فرّخ بعض بيضهم، فبعض الناس أضلته شبهاتهم وتخطّفت قلبه لمّا أعرض عن تعظيم الآثار، وكفى بالخذلان عقوبة، وممن كان له دور في إثارة الشبه وإضلال الأمة:

إبراهيم النظام؛ وهو مزدكي زنديق، على ما قاله العلماء، تظاهر بالإسلام، وتلبس الاعتزال، وبث شبهه بين الناس. ومنهم عدوّ الإسلام المتسمي به ابن الراوندي الذي ألف لليهود كتابًا أسماه الدامغ، يزعم أنه يرد به على القرآن العظيم، أخزاه الله.

ومنهم غيلان الدمشقي، القدري، ويقال: إنه قد أخذ عقيدته من يوحنا أو سوسن الدمشقيين النصرانيين، وهو الذي ناظره الإمام الأوزاعي، ثم أفتى

(١) الفتاوى (٥/١١٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بقتله، فقتله هشام بن عبد الملك.

ومنهم معبد الجهني، وهو أوّل من قال بنفي القدر، وهو الذي توعده ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن لو قبض عليه ـ بعد ما عمِي ـ أن يعضّ أنفه حتى يقطعه، وأن يدق عنقه، غضبًا لله تعالى. وقد قتله الحجاج بن يوسف عام ١٢٨.

ومنهم الجعد بن درهم، وهو أول من أظهر القول بخلق القرآن، وقد أخذ هذه العقيدة الضالة من اليهود، ويقال: إنه قد أخذ قالته عن أبان بن سمعان، الذي أخذها عن طالوت ابن أخت لبيد بن الأعصم وختنه، الذي سحر رسول الله ﷺ، فما أنتنها من سلسلة ضلال! وأقبِح به من سند كفر، وقد قتله خالد القسري ـ قصّاب الزنادقة ـ عام ١٢٨ بناء على فتاوى العلماء.

شكر الضحيةَ كلَّ صاحب سنة ... لله درُك من أخي قربانِ

وهو مؤدب آخر خلفاء بني أمية مروان بن محمد الذي لقب بالجعدي.

وكان من تلاميذ الجعدِ الجهمُ بن صفوان إمام نفاة الصفات، وهو جبريٌّ في القدر.

عجبت لمن يدعو الناس جهرةً ... إلى النار واشتق اسمه من جهنّمِ

وقد قتله سَلْمُ بن أحوز رَحِمَهُ اللَّهُ بناء على فتاوى العلماء.

من تلاميذ الجهم أحمد بن أبي دؤاد رأس فتنة القول بخلق القرآن. ومن تلاميذ الجهم بن صفوان بشر المرّيسي؛ وهو يهودي ابن يهودي دخل نفاقًا بشهادة أمِّه؛ حيث قالت: «ما دخل دينكم إلا ليفسده»، وهو جهمي في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الصفات، قدري في القدر، وكان ينكر العلم، وهو الذي ناظره عبد العزيز الكناني، ورد عليه الإمام الدارمي.

ومنهم محمد بن الحسن النصيري، مدّعي الألوهية، من زعماء النصيرية في جبال اللاذقية، كان يلقب بالمهدي تارة، وتارة يدعى علي بن أبي طالب فاطر السموات والأرض، خرج بالنصيرية فدخلوا جبلة فقتلوا خلقًا من أهلها، وخرجوا يقولون: لا إله إلا علي، ولا حجاب إلا محمد، ولا باب إلا سلمان، وأمر أصحابه بهدم المساجد، واتخاذها خمارات، وكانوا يقولون لمن يأسرونه من المسلمين: قل لا إله إلا علي، واسجد لإلهك المهدي الذي يحيي ويميت، حتى يحقن دمك، فجرّدت إليهم العساكر، فقتل منهم جمع كبير، ونامت فتنتهم.

ومنهم ابن سينا فيلسوف الزنادقة قال ابن القيم عنه: «كان ابن سينا كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم»، فكان من القرامطة الباطنية الذين لا يؤمنون بمعيد ولا معاد، ولا رب خالق ولا رسول مبعوث جاء من عند الله تعالى.

ومنهم النصير الطوسي ولهذا الخبيث مصنفات، قال عنه ابن القيم: «ولما انتهت النوبة إلى نصير الشرك والكفر المُلْحد وزير الملاحدة: النصير الطوسي، وزير هولاكو، شفا نفسه من أتباع الرسول وأهل دينه، فعرضهم على السيف، حتى شفا إخوانه من الملاحدة، واشتفى هو، فقتل الخليفة والقضاة والفقهاء والمحدثين، واستبقى الفلاسفة والمنجمين، والطبائعيين والسحرة».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا زالت عقائد أولئك الفجرة تُتداول في بعض الهيئات العلمية والجامعات الإسلامية على أنها فكر حرّ مستنير من أئمة كبار للمسلمين! هذا وللأسف فبعض متأخري الصّوفية قد أدركتهم موجات كفر وإلحاد، فصار منهم حلولية ـ يرون حلول الخالق في المخلوق! ـ على عقيدة والحلاج وأتباعه القائل: وما الكلب والخنزير إلا إلهنا..! وما في الجبة إلا الله! وسبحاني سبحاني! واتحادية ـ يرون الخلق مظاهر للخالق! ـ على عقيدة ابن عربي وابن سبعين والقونوي والتلمساني وابن الفارض، قال ابن عربي: «من عبد الصنم فقد عبد الصمد»! وقال أحد المريدين لشيخ ضلالة يؤصل لهم مذهب الاتحادية ويقرره في نفوسهم: يا شيخ أردت أن أقضي حاجتي فتذكرت قولك: إن الأرض وكل شيء هو الله! فكيف أصنع؟ فقال ذلك الإبليسي الزنديق: «وربك أيش إذًا!! الكلّ ربك!!» تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وسبحان الله عما يصفون، والآخر يقول مقررًا ومؤصلًا في نفوس الأغرار شرك الربوبية والألوهية معًا: «لا يدخل مصر حبة شعير واحدة إلا بإذن السيد البدوي!» وفي قرة العيون للشيخ عبد الرحمن بن حسن: «وأعظم آلهة القبوريين في مصر أحمد البدوي».

وينبغي التنبّه الى اختراق المتصوفة من قبل بعض القبوريين، الذين جعلوهم يتبنّون خرافاتهم وشركياتهم؛ كخرافة التوسل والوساطة والسرّ ونحو تلك الوثنيات(١).

(١) وانظر: التوسل والوسيلة، والرد على البكري، والرد على الأخنائي لابن تيمية، =

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال العلامة صالح آل الشيخ في كتابه (هذه مفاهيمنا)[١]: «وقد جادلت يومًا ببلدٍ إفريقي أحد المفتونين من كبار العلماء المُحَبِّذين لعبادة القبور والسدنةِ حولها في حالهم، ومعنى العبادة، ومفهوم الشهادتين، فقال: أنا أعلم أنكم على الحق ولكن(سيب) الناس تعيش!».

وللعلم فليس كل المتصوفة يقولون بذلك الكفر، بل هو عند فئة قليلة نسبة إلى جمهورهم الذي يبرأ إلى الله من هذه الأمور، وبعض هؤلاء يحسن الظن ببعض الزنادقة وأئمة الضلال وهو لا يعلم حقيقة مقالاتهم الفاجرة. فمن المتصوفة أهل علم ودين وورع وفضل، انتسبوا جهلًا لطريقة دون سبيل نبي الرحمة ﷺ، التي اجتمع فيها كل الخير بحذافيره، ومنهم زنادقة كفرة، أخبث من نطفة إبليس، وأكفر من اليهود والنصارى، وبين هؤلاء وأولئك طوائف.

ذكرتُ ذلك إيقاظًا لبعض من أحسن الظن بمن لا يستحقه، وليُحذر من تلك المذاهب الخبيثة والنحل الرديئة، وليعلم المحب أن دين الفلاسفة والزنادقة والباطنية والقبورية والحلولية والاتحادية مباين لدين المرسلين، ومزايل لملة محمد وإبراهيم عليهم الصلاة والتسليم، ومناقض لدين المسلمين، وأن بعض من ينتسب إلى الإسلام قد تشرب ذلك الضلال والوثنية، ولقد قابلت بعضًا منهم وصرّحوا بذلك، فما أعظم واجب أهل الحق، وأخطر

=

والصارم المنكي لابن عبد الهادي، وكشف الشبهات للإمام المجدد.

(١) ص (٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مسؤوليتهم، وأكبر أمانتهم في كشف الباطل وبيان الحق.

وبالجملة: فلا بد من البيان والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ونشر التوحيد، والتحذير من ضده، بكل طريقة ممكنة، لرفع الجهل عن الأمة، ونشر إرث النبوة فيها.

ولسان حال بعض الغيورين على ثوابت الإسلام ومحكمات الإيمان والقرآن:

كم من هموم أحرقت كبدي التي ... بجوانحي لكنن أتجلَّدُ
أوَّاه قلبي لا تبُحْ سرّي الذي ... أكنتُه قلبًا حزينًا يكمدُ
لكنما اللوعاتُ حين أوارها ... تجثوا على القلب القوي فيهمدُ
تتهشّم الأضلاع من رجع الصدى ... من أنّة مكلومة تتردّدُ
يا مقلتي ما عدت أقوى صابرًا ... جودي ببحر زاخر يتمدَّدُ
بحر خضم سخّنت أمواجه ... من نار كبدي والضلوع تُقَدَّدُ

لكن نقول: دع البكاء على الأطلال والدِّمَنِ.. وأصلح نفسك وثنِّ بمن حولك وأتبعهم بمن تطيق من عباد الله(١).

أبشر أخا الإسلام فالنصر قادم ... وإن أجلب الكفار كل النواديا(٢)

وتأمل نفيس العِلْم، ودرر التسليم، وعِظَمِ الاتّباع، وجمال الافتقار إلى الله تعالى في جواب العالم الرباني ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ في رسالته الموسومة

(١) وانظر في تاريخ نشأة البدع: منهاج السنة النبوية (١/ ٣٠٦).
(٢) انظر رسالة: (ويكون الدين كله لله) للمؤلف (٣- ٢٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بـ(الحموية)[١] حينما سئل عن آيات الصفات:« الحمد لله رب العالمين، قولنا فيها ما قاله الله ورسوله ﷺ، والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وما قاله أئمة الهدى بعد هؤلاء الذين أجمع المسلمون على هدايتهم ودرايتهم، وهذا هو الواجب على جميع الخلق في هذا الباب وغيره، فإن الله سبحانه وتعالى بعث محمدًا ﷺ بالهدى ودين الحق، ليخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، وشهد له بأنه بعثه داعيًا إليه بإذنه وسراجًا منيرًا، وأمره أن يقول: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ [يوسف: ١٠٨].

فمن المحالِ في العقل والدين أن يكون السراج المنير الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور وأنزل معه الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه، وأمر الناس أن يردوا ما تنازعوا فيه من أمر دينهم إلى ما بعث به من الكتاب والحكمة، وهو يدعو إلى الله وإلى سبيله بإذنه على بصيرة، وقد أخبر الله بأنه أكمل له ولأمته دينهم وأتم عليهم نعمته محال مع هذا وغيره: أن يكون قد ترك باب الإيمان بالله والعلم به ملتبسًا مشتبهًا، ولم يميّز بين ما يجب لله من الأسماء الحسنى والصفات العليا وما يجوز عليه وما يمتنع عليه. فإن معرفة هذا أصل الدين وأساس الهداية، وأفضل وأوجب ما اكتسبته القلوب

(١) قال ابن باز: «لأهميتها ينبغي ان تقرأ أكثر من مئة مرة». قلت: وقد ألّفها في جلسة واحدة بين الظهر والعصر ـ وتأمل بركة العلم والعمر والوقت ـ وقيل: إنها كانت أقل من ذلك فزادها وبخاصة النقول من الكتب.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحصّلته النفوس وأدركته العقول، فكيف يكون ذلك الكتاب وذلك الرسول وأفضل خلق الله بعد النبيين لم يُحكموا هذا الباب اعتقادًا وقولًا؟!

ومن المحال أيضًا أن يكون النبي ﷺ قد علّم أمته كل شيء حتى الخِراءة وقال: **«تركتكم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»**(١) وقال فيما صح عنه أيضًا: **«إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدلّ أمته على خير ما يعلمه لهم، وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم»**(٢).

وقال أبو ذر: «لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علمًا». وقال عمر بن الخطاب: «قام فينا رسول الله ﷺ مقامًا، فذكر بدء الخلق، حتى دخل أهل الجنة منازلهم، وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه» رواه البخاري(٣).

ومحال مع تعليمهم كلّ شيء لهم فيه منفعة في الدين - وإن دقّت - أن يترك تعليمهم ما يقولونه بألسنتهم ويعتقدونه في قلوبهم في ربهم ومعبودهم رب العالمين، الذي معرفته غاية المعارف، وعبادته أشرف المقاصد، والوصول إليه غاية المطالب. بل هذا خلاصة الدعوة النبوية وزبدة الرسالة الإلهية.

فكيف يتوهّم من في قلبه أدنى مسكة من إيمان وحكمة أن لا يكون بيان

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٠٧) والترمذي (٢٨٧٠) بدون لفظ «المحجة» وصححه الأرنؤوط.

(٢) أخرجه مسلم ٦/١٨ (١٨٤٤) (٤٦).

(٣) في صحيحه (٣١٩٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا الباب قد وقع من الرسول ﷺ على غاية التمام، ثم إذا كان قد وقع ذلك منه؛ فمن المحال أن يكون خيرُ أمته وأفضلُ قرونها قصّروا في هذا الباب زائدين فيه أو ناقصين عنه. ثم من المحال أيضًا أن تكون القرون الفاضلة - القرن الذي بعث فيه رسول الله ﷺ ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم - كانوا غير عالمين وغير قائلين في هذا الباب بالحق المبين، لأن ضد ذلك إما عدم العلم والقول، وإما اعتقاد نقيض الحق وقول خلاف الصدق، وكلاهما ممتنع.

أما الأول: فلأنّ مَنْ في قلبه أدنى حياة وطلب للعلم أو نهمة في العبادة؛ يكون البحث عن هذا الباب والسؤال عنه ومعرفة الحق فيه أكبر مقاصده وأعظم مطالبه، أعني بيان ما ينبغي اعتقاده ومعرفة الرب وصفاته. وليست النفوس الصحيحة إلى شيء أشوق منها إلى معرفة هذا الأمر. وهذا أمر معلوم بالفطرة الوَجدية، فكيف يتصور مع قيام هذا المقتضي - الذي هو من أقوى المقتضيات - أن يتخلف عنه مقتضاه في أولئك السادة في مجموع عصورهم. هذا لا يكاد يقع في أبلد الخلق وأشدهم إعراضًا عن الله، وأعظمهم إكبابًا على طلب الدنيا، والغفلة عن ذكر الله تعالى، فكيف يقع في أولئك؟!

وأما كونهم كانوا معتقدين فيه غير الحق أو قائليه فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف حال القوم.

ثم الكلام في هذا الباب عنهم أكثر من أن يمكن سطره في هذه الفتوى وأضعافها، يعرف ذلك من طلبه وتتبعه، ولا يجوز أيضًا أن يكون الخالفون أعلم من السالفين كما قد يقوله بعض الأغبياء ممن لم يقدر قدر السلف، بل ولا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عرف الله ورسوله والمؤمنين به حقيقة المعرفة المأمور بها: من أن طريقة السلف أسلم وطريقة الخلف أعلم وأحكم(١)، فإن هؤلاء المبتدعين الذين يفضلون طريقة الخلف من المتفلسفة ومن حذا حذوهم على طريقة السلف إنما أتوا من حيث ظنوا أن طريقة السلف هي مجرد الإيمان بألفاظ القرآن والحديث من غير فقه لذلك، بمنزلة الأميين الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ [البقرة: ٧٨] وأن طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقائقها بأنواع المجازات وغرائب اللغات. فهذا الظن الفاسد أوجب تلك المقالة التي مضمونها نبذ الإسلام وراء الظهر.

وقد كذبوا على طريقة السلف، وضلّوا في تصويب طريقة الخلف، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف في الكذب عليهم، وبين الجهل والضلال بتصويب طريقة الخلف. وسبب ذلك اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة

---

(١) في مطبوع الشيخ ابن قاسم - وليس في غيره مما حقق - عبارة شاذة منكرة، ومقحمة على كلام شيخ الاسلام وهي- «وإن كانت هذه العبارة إذا صدرت من بعض العلماء قد يعني بها معنى صحيحًا». قال العثيمين: «إنه رجع إلى أصل المخطوطة فلم يجد هذه العبارة، فلعلها مقحمة في متن الحموية».
وعلق ابن باز على ذلك بقوله: «هذا الأقرب، فهي كلمة خبيثة حاشا شيخ الإسلام قولها، ولا نجد لها مساغًا».
قلت: كذلك قد نفى وجود هذه العبارة محقق الحموية المطبوعة. وانظر كلامًا متينًا لشيخ الإسلام في نقض تلك الجملة الباطلة في درء التعارض (٥/ ٣٧٨-٣٨٠).
وهذه شهادة ضمنية بنفي نسبة تلك الجملة إليه، رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

دلت عليها هذه النصوص بالشبهات الفاسدة التي شاركوا فيها إخوانهم من الكافرين، فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ـ وكان مع ذلك لا بد للنصوص من معنى ـ بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى(١) ـ وهي التي يسمونها طريقة السلف ـ وبين صرف اللفظ إلى معان بنوع تكلف ـ وهي التي يسمونها طريقة الخلف ـ فصار هذا الباطل مركبًا من فساد العقل والكفر بالسمع، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقليّة، ظنوها بينات وهي شبهات، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه.

فلما ابتنى أمرهم على هاتين المقدمتين الكفريتين الكاذبتين؛ كانت النتيجة استجهال السابقين الأولين واستبلاههم(٢)، واعتقاد أنهم كانوا قومًا أميين

---

(١) والتفويض مذهب محدث خبيث، وخلاصته: الإيمان بألفاظ القرآن في صفات الله تعالى مجردة عن معانيها مع اعتقاد صرف هذه الألفاظ عن ظواهرها المعروفة من لغة العرب. فجعلوا نصوص الصفات مجرد حروف متراصّة غير مفهومة، وهذا من الجهل الوخيم وزادوا الفرية بأن جعلوها مذهبًا للسلف الصالح، وكذبوا، فالسلف أجروا معاني الألفاظ على معانيها الظاهرة مع اعتقاد نفي المماثلة والكيفية، لذلك فما تعلق به المبتدعة من نصوص للسلف هي في حقيقتها هدم لبدعتهم، فمقصود السلف كأحمد وغيره من قولهم عنها: «أمِرّوها كما جاءت» إنما عنوا نفي الكيفية وليس نفي المعنى، كما قال مالك: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول» وللأسف فبعض أهل الكلام حينما تركوه وهجروه وأرادوا اعتقاد مذهب السلف ظنوا أن التفويض للمعاني هو مذهبهم فاعتنقوه، وهذا خروج من ضلال إلى ضلال! ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣].

(٢) أي رميهم بالبلاهة وضعف الإدراك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بمنزلة الصالحين من العامة، لم يتبحروا في حقائق العلم بالله، ولم يتفطنوا لدقائق العلم الإلهي، وأن الخلف الفضلاء حازوا قصب السبق في هذا كله!

ثم هذا القول إذا تدبره الإنسان وجده في غاية الجهالة، بل في غاية الضلالة، فكيف يكون هؤلاء المتأخرون - لا سيما والإشارة بالخلف إلى ضرب من المتكلمين الذين كثر في باب الدين اضطرابهم وغلظ عن معرفة الله حجابهم وأخبر الواقف على نهاية إقدامهم بما انتهى إليه أمرهم حيث يقول:

لعمري لقد طفت المعاهد كلها ... وسيّرت طرفي بين تلك المعالمِ
فلم أر إلا واضعًا كف حائرٍ ... على ذقن أو قارعًا سن نادمِ

وأقروا على أنفسهم بما قالوه، متمثلين به أو منشئين له فيما صنفوه من كتبهم كقول بعض رؤسائهم:

«نهاية إقدام العقول عقالُ ... وأكثر سعي العالمين ضلالُ
وأرواحنا في وحشة من جسومنا ... وحاصل دنيانا أذى ووبالُ
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا ... سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلًا، ولا تروي غليلًا، ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن. اقرأ في الإثبات: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] واقرأ في النفي: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠] ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي».

ويقول الآخر منهم: «لقد خضت البحر الخضم، وتركت أهل الإسلام

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعلومهم، وخضت في الذي نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لفلان، وها أنا أموت على عقيدة أمي».

ويقول الآخر منهم: «أكثر الناس شكًّا عند الموت أصحاب الكلام».

ثم هؤلاء المتكلمون المخالفون للسلف إذا حقق عليهم الأمر؛ لم يوجد عندهم من حقيقة العلم بالله وخالص المعرفة به خبر، ولم يقعوا من ذلك على عين ولا أثر. كيف يكون هؤلاء المحجوبون المفضولون[1] المنقوصون المسبوقون الحيارى المتهوكون أعلم بالله وأسمائه وصفاته، وأحكم في باب ذاته وآياته من السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من ورثة الأنبياء وخلفاء الرسل وأعلام الهدى ومصابيح الدجى، الذين بهم قام الكتاب وبه قاموا، وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا، الذين وهبهم الله من العلم والحكمة ما برزوا به على سائر أتباع الأنبياء فضلًا عن سائر الأمم الذين لا كتاب لهم، وأحاطوا من حقائق المعارف وبواطن الحقائق بما لو جمعت حكمة غيرهم إليها لاستحيا من يطلب المقابلة؟!

ثم كيف يكون خير قرون الأمة أنقص في العلم والحكمة - لا سيما العلم بالله وأحكام أسمائه وآياته - من هؤلاء الأصاغر بالنسبة إليهم؟! أم كيف يكون أفراخ المتفلسفة وأتباع الهند واليونان وورثة المجوس والمشركين وضُلَّالُ اليهود والنصارى والصابئين وأشكالهم وأشباههم أعلم بالله من

(١) في الأصل: «المفضلون» وهو تصحيف.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ورثة الأنبياء وأهل القرآن والإيمان؟!»[١].

ويكفي في تقديم علم السلف وتقديره بل وحصريّته في أمور المعتقد أنهم الأجيال الأقرب لتنزل الوحي الإلهي، فالصحابة هم من ارتضاهم الله تعالى لتبليغ دينه للأمة بعد نبيّها ﷺ، فالموفق من نَهَجَ سبيلهم وسلك طريقهم واستنّ بطريقتهم، فلم ولن يكون في الأمة مثلهم في العلم والإيمان، فعلام تنكّب الطريق، وتتبِّع بُنيّاته؟!

وبالجملة فكل خير في اتباع من سلف، وكل شرٍّ في ابتداع من خلف، واتّبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم[٢].

ومن استغنى بالله تعالى، وخالط الاستغناء حُشاشة فؤاده فسيستغني ضرورة بالوحي المنزل عن أذهان البشر، وسيستغني بغنى الخالق عن كل مخلوق، وبالله التوفيق، وهو المستعان، وبه الاستغناء، وعليه التكلان، ولا حول ولا قوة إلا به.

(١) الحموية (١-٤) وهي ضمن مجموع الفتاوى (٥ /٩ - ١٣).

(٢) ولابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ رسالة لطيفة جامعة موسومة بـ «فضل علم السلف على علم الخلف».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كيف يسعى لجنون مَن عَقل!

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ﴾ [محمد: ١٥].

فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة، ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا، فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا، وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شربها، وآفة العسل عدم تصفيته.

وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها، ويُجريها في غير أخدود، وينفي عنها الآفات التي تمنع كمال اللذة بها.

كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغَوْل والإنزاف وعدم اللذة، فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا: تغتال العقل، ويكثر اللغو على شربها، بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو، وتنزف في نفسها، وتنزف المال، وتصدع الرأس، وهي كريهة المذاق، وهي رجس من عمل الشيطان، توقع العداوة والبغضاء بين الناس، وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وتدعو إلى الزنا، وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم، وتُذهب الغيرة، وتورث الخزي والندامة والفضيحة، وتُلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المجانين، وتسلبه أحسن الأسماء والسمات، وتكسوه أقبح الأسماء والصفات، وتسهل قتل النفس، وإفشاء السر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه، ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قيامًا له ولمن يلزمه مؤنته، وتهتك الأستار، وتظهر الأسرار، وتدل على العورات، وتهوّن ارتكاب القبائح والمآثم، وتُخرج من القلب تعظيم المحارم، ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب، وأفقرت من غنيّ، وأذلّت من عزيز، ووضعت من شريف، وسلبت من نعمة، وجلبت من نقمة، وفسخت من مودة، ونسجت من عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة، وأجرت من عَبرة، وكم أغلقت في وجه شاربها بابًا من الخير، وفتحت له بابًا من الشر، وكم أوقعت في بليّة، وعجّلت من منيّه، وكم أورثت من خزيّة، وجرّت على شاربها من محنة، وجرّت عليه من سِفْلة.

فهي جِماع الإثم، ومفتاح الشر، وسلّابةُ النعم، وجلّابة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: **«من شرب الخمر في الدنيا؛ لم يشربها في الآخرة»**(١) لكفى.

وآفات الخمر أضعافُ أضعافِ ما ذكرنا، وكلها منتفية عن خمر الجنة»(٢).

(١) البخاري (٥٥٧٥) ومسلم (٢٠٠٣) وفي رواية في الصحيحين من حديث ابن عمر بزيادة: **«إلا أن يتوب»**.

(٢) حادي الأرواح (١/ ١٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مؤلفات إبراهيم بن عبد الرحمن الدميجي

موسوعة

تعظيم علام الغيوب بتوضيح أعمال القلوب

١- مقدّمات في أقوال وأعمال القلوب
٢- التوحيد والإخلاص
٣- العبودية
٤- الصدق مع الله تعالى
٥- محبّةُ الله تعالى
٦- الشّوقُ إلى الله تعالى
٧- الأُنسُ بالله تعالى
٨- الإرادة
٩- العزم
١٠- الرّجاء
١١- الرّغبة
١٢- التّوكّلُ على الله تعالى
١٣- حُسنُ الظّنّ بالله تعالى
١٤- الثقةُ بالله تعالى
١٥- الافتقارُ إلى الله تعالى
١٦- الاستغناءُ بالله تعالى
١٧- التعلُّقُ بالله تعالى
١٨- الالتجاءُ إلى الله تعالى
١٩- الاعتصامُ بالله تعالى
٢٠- سلامةُ الصّدر
٢١- العفاف
٢٢- الصَّبر
٢٣- الرّضا بالله تعالى
٢٤- شكر الله تعالى
٢٥- حمد الله تعالى
٢٦- الفرح بالله تعالى
٢٧- ....

سلسلة

(قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء)

١- محمد رسول الله ﷺ.

٢- هل انتشر الإسلام بالسيف؟

٣- كشف شبه أهل الكتاب عن الإسلام (١٣) شبهة.

٤- النصرانية من التوحيد إلى الوثنية.

٥- أخلاق الكنيسة وأخلاق الإسلام.

٦- يا سائلًا عن بني إسرائيل.

٧- المسجد الحرام والحج في صحف أهل الكتاب.

٨- سبع بشارات توراتية برسول الله ﷺ.

٩- أشهر بشارات العهد الجديد برسول الله ﷺ.

١٠- نظرة فاحصة في الكتاب المقدّس (البايبل).

١١- العقائد النصرانية في الميزان.

١٢- ربحت محمدًا ولم أخسر المسيح عليهما السلام.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كتب منوّعة

١- (ولا تفرّقوا) معالم وتأصيلات.
٢- حديث الإفك (عَبرات وعِبر).
٣- لله درّك يا كعب.
٤- إذا ذُكر الصالحون فحيهلًا بعمر.
٥- كفاءة النسب وزيوف الجاهلية.
٦- صفحة مطوية من تاريخ الجزيرة العربية (إخوان من طاع الله).
٧- (ويكون الدين كله لله).
٨- نافذة على قصة الحضارة لديورانت.
٩- المُدهشات.
١٠- تهافت الليبرالية، أركون أنموذجًا.
١١- متى يشرع البحث في تفاصيل القدر.
١٢- وقد يجمع الله الشتيتين.
١٣- دموع على سفح الفؤاد.
١٤- نَظَرَاتٌ في أعماق النفس الإنسانية.
١٥- أزمة الفكر المادي.
١٦- السَّلفيّة محضُ الإسلام العتيق.
١٧- إضاءة الجنان من أضواء البيان (في حجاب الوجه).
١٨- رقائق المتقين.
١٩- شعاعُ الفكر (١) مقالات شرعية.
٢٠- شعاعُ الفكر (٢) مقالات فكرية وأدبيّة.
٢١- رياضُ الأُنْسِ. منتخبات نافعة من البداية والنهاية، للشيخ محمد الدميجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تحقيق وتعليق).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢- دمعُ الغَمَامِ مِن مَحَابِرِ الأعلَامِ. حكم وفوائد ووصايا وقصائد، جمع الشيخ محمد الدميجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ (تحقيق وتعليق).

٢٣- الحنيفيّةُ، مِلَّةُ إبراهيم عليه السلام

٢٤- مِن سِيَرِ الرَّاحِلين.

٢٥- انفساخُ العَزَائِم وانتقاضُ الدَّعَائِم

٢٦- مقدِّمةُ الحَمويّةِ.. طلعَ الصَّباحُ فَأَطْفِؤُا القِنديلَا.

٢٧- صَقِيعُ الفلاسفة (كيف تؤذي الفلسفة غير الرشيدة طمأنينة النفوس).

٢٨- مسائل مُلِحَّةٌ في القَدَر.

٢٩- من هو الماهر بالقرآن الكريم.

٣٠- مباحث فقهية.

٣١- معالم التوحيد والحنيفيّة في سيرة خير البرية ﷺ.

٣٢- إرشاد الحفّاظ في متشابه الألفاظ للقرآن الكريم.

٣٣- الإعجاز الربَّاني في اليهود.

٣٤- مَعْدِنُ الشَّجَاعَةِ والكَرَمِ.

٣٥- تعقيباتٌ على كتب شريفاتٍ، (على شرحي الإمامين النووي وابن حجر للصحيحين).

٣٦- الإقليد.. مفاتحُ للعلم، والعبادة، والدعوة، والسلوك.

- ولمن شاء تحميل جميع كتبي مجّانًا بصيغة pdf: اكتب في قوقل: (حمّل مجّانًا مؤلفات إبراهيم الدميجي). وستجدها كذلك في مدونتي الشخصية بإذن الله تعالى. **وهذا باركود التحميل المباشر لها:**